

إفلاش

إماراتية

العدد 7 issue

Emirates Flashes

مارس March 2022





إفراءات إماراتية

مجله علمية بحثية في الدراسات
الإماراتية والتراثية

لطلبة جامعة زايد

برعاية

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث
HAMDAN BIN MOHAMMED HERITAGE CENTER





التراث والهوية الوطنية

بقلم د. معاوية العوض

12

اندثار تجارة اللؤلؤ في الخليج دانائات الأمس أيقونات تراثية

الطالبة / ظبية سعيد المزروعى

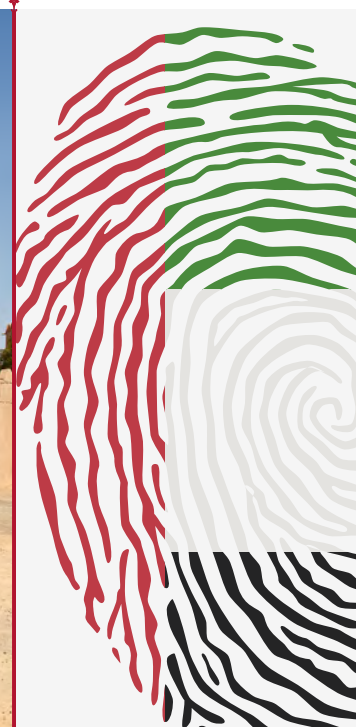


26

جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في صون كنوزها التراثية

الطالبة / عائشة علي الحمادي

10



34

الدخون العربي وتأثيره على جودة الهواء في الأماكن المغلقة

الطالبة / دانة طارق العفيفي

54



44

المدن الحضرية وفقدان اللهجات القبلية عبر الأجيال

الطالب / سيف سعيد الشامسي



اللؤلؤ المستزرع وتأثيره على اقتصاد إمارات الساحل المتصالح

الطالبة / خلود يوسف الحرمي

الناشر

مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

رئيس التحرير

د. أسماء عبيد الشيبه

كلمة العدد

د. معاوية العوض

بحوث الطلبة

الطالبة / عائشة علي الحمادي

الطالبة / خلود يوسف الحرمي

الطالب / سيف سعيد الشامسي

الطالبة / دانة طارق العفيفي

الطالبة / ظبية سعيد المزروعى

ترجمة وتدقيق

سهير دَسوم فورش

التصميم والإخراج

محمد شكيل

لا يجوز نقل أو اقتباس أو إعادة نشر مواد هذه النشرة كلاً أو جزءاً بأي وسيلة من وسائل النشر إلا بإذن مكتوب من الناشر. الآراء الواردة في هذه المطبوعة لا تعبر بالضرورة عن آراء جامعة زايد. يعتذر الناشر عن تحمل أي مسؤولية تجاه أي خطأ أو حذف قد يرد فيها.



مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث

أنشئ مركز حمدان بن محمد لإحياء التراث في السادس من إبريل بموجب قرار رقم (1) لسنة 2013 الصادر عن سمو ولي عهد دبي الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم ويأتي هذا القرار انطلاقاً من إيمان سموه بأهمية التراث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية لأبناء دولة الإمارات العربية المتحدة، وبرغبة صادقة من سموه في إحياء ونشر التراث الإماراتي بين الأجيال والمحافظة عليه من الضياع والاندثار.

لمزيد من المعلومات، يرجى زيارة www.hhc.gov.ae



سُمو الشَّيْخِ حَمْدَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ رَاشِدِ آلِ مَكْتُومٍ
ولي عهد دبي

H.H. Sheikh Hamdan Bin Mohammed Bin Rashid Al-Maktoum
The Crown Prince of Dubai

التراث والهوية الوطنية

بقلم د. معاوية العوض

مدير

معهد البحوث الاجتماعية والاقتصادية، جامعة زايد



هنالك علاقة وثيقة بين الهوية الوطنية في أي مجتمع والموروث الثقافي والتاريخي بمعناه الواسع بما في ذلك القيم المحلية والعادات والتقاليد والفنون القديمة والقصص والحكايات والأساطير المحلية والزي المحلي وغيرها. وفي دولة الإمارات العربية المتحدة فإن الهوية الوطنية، أو المواطنة، تُفهم على أنها "موروث مشترك من المبادئ والقيم والعادات والسلوكيات بين الأفراد في الدولة الواحدة، والتي تسهم في تشكيل شخصية المواطن وتمنحها خصائص تميزه عن غيره من المواطنين في الدول الأخرى. وبمعنى آخر، هي عبارة عن عضوية الفرد التامة والمسؤولة في الدولة، وما يترتب على تلك العضوية من واجبات ومسؤوليات".

والخصوصية الثقافية والفكرية للإرث التاريخي تؤكد الصلة العميقة للفرد ببيئته ومحيطه ومجتمعه ولا تعني بالطبع انغلاقه، بل تؤكد قدرته على التواصل مع الشعوب والثقافات الأخرى على قاعدة صلبة، معتمداً على فخره العميق بهويته وبأصالته موروثه الثقافي، وبالقيم العليا الموروثة من الأجداد والعمران الذي يشهد على ما أنجزوه. ويمثل الموروث الثقافي والتاريخي نقطة الانطلاق الحضارية نحو الحاضر والمستقبل، فـ "من ليس له ماضٍ، ليس له حاضر ولا مستقبل" كما قال المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس الدولة.

وحيث أن الموروث التاريخي المادي وغير المادي هو سجل دقيق يميز الشخصية الوطنية، فإنه يشكل قاعدة صلبة للهوية الوطنية للأفراد والجماعات عندما

يتفاعلون مع متغيرات العصر متأثرين ومؤثرين بها. ويتفاعل الموروث التاريخي الوطني المادي وغير المادي بشكل مستمر مع التراث الإنساني العالمي بحيث تصبح العديد من الشواهد الأثرية والأنماط المعمارية والأهازيج القديمة والرقصات المحلية وغيرها جزءاً من التراث الإنساني العالمي الذي لا بد من الاهتمام به والحفاظ عليه.

ومن أمثلة المواقع والأنشطة والفنون المسجلة في لائحة التراث العالمي في اليونسكو واحة العين، وموقع هيلي الأثري، ومدافن جبل حفيف، وموقع بدع بنت سعود، والصقارة (الصيد بالصقور)، والسدو (مهارات النسيج التقليدية في الإمارات)، والتغريدة (الشعر البدوي التقليدي)، والعيالة (رقصة الفخر والانتصار)، والعازي (شعر الفخر)، والرزفة (رقصة الرجولة والشهامة)، والقهوة العربية، والمجالس. كما تضم القائمة التمهيدية لمواقع التراث العالمي مواقع عديدة من الدولة مثل جزيرة أم النار، وخور دبي، ومسجد البدية، ومنطقة شمال رأس الخيمة، وصير بونعير، ومنطقة قلب الشارقة، وغيرها.

وكذلك يجدر الذكر هنا بأن حماية المواقع الطبيعية والحياة البرية تعد جزءاً هاماً من الحفاظ على الموروث التاريخي للوطن. ومع أهميتها في حماية البيئة، فإن الحفاظ على المعالم الطبيعية وصون الأنواع النباتية والحيوانية، وخاصة المهددة منها بالانقراض، لا يقل أهمية عن حفظ الموروث الثقافي والأوابد الأثرية، كما أنه عامل هام في تحقيق الاستدامة. ولذلك فإن المحميات الطبيعية العديدة المنتشرة في الدولة تُعد

إحدى أهم الركائز في حماية المصادر والإرث الطبيعي والتنوع الحيوي في الدولة، وعلى النطاق العالمي. وهنالك في الدولة محميات الحياة البرية مثل محمية الوثبة للأراضي الرطبة، ومحمية حتا الطبيعية، ومحمية الخوانيج الطبيعية، والمحميات البحرية مثل محمية الياسات البحرية، ومحمية المروح للمحيط الحيوي البحري، ومحمية الزوراء.

ويُعد الموروث المادي وغير المادي جزءاً هاماً من الثروة الوطنية حيث يساهم في الناتج المحلي من خلال السياحة والفعاليات التراثية الفنية وغيرها. إضافة إلى ذلك، فإن للموروث الثقافي والتاريخي أهمية خاصة في تقوية التضامن الاجتماعي. فالارتباط بين الأفراد والجماعات من خلال اللغة (اللهجة) والتقاليد والعادات والأعراف والفخر بالموروث المادي والثقافي وغيرها يحددهم كمجموعة أصيلة ومتناسقة تفخر بانتماؤها وقيمها وهويتها وذاكرتها الجماعية، وبالتالي يساهم في دعم الاستقرار والروابط الاجتماعية فيما بينها.

إضافة إلى ما سبق، فلا بد من الإشارة إلى التعليم كإحدى الاستراتيجيات الهامة للحفاظ على التراث المادي وغير المادي. فمن خلال التعليم يمكن التعبير عن قيمة هذا الإرث وتشجيع الحفاظ عليه والفخر به. فالمباني القديمة تحكي قصص الأجداد، وأهازيجهم وشعرهم ورقصاتهم تعبر عن حياتهم اليومية، وعن قيمهم وفخرهم وإبداعاتهم. كل هذه المعارف تساهم في بناء الهوية وتطوير الوعي الذاتي والشعور بالانتماء والفخر. ويساعد التطور التكنولوجي

والرقمي في أرشفة الإرث التاريخي وسهولة تقديمه وشرحه للأجيال الحالية والقادمة، وكذلك مشاركته حول العالم.

ويتمثل التحدي الأكبر في الحفاظ على الهوية الوطنية والموروث الثقافي في دولة الإمارات، مقارنة بالعديد من المجتمعات الأخرى، بالتركيبة السكانية المعقدة، وبازدحام العديد من الثقافات والعادات والتقاليد ضمن محيط صغير. ويمكن مواجهة هذا التحدي من خلال التركيز على بناء الإنسان بهويته الحضارية النابعة من موروثه الثقافي وخصوصيته الأصيلة كمحور للتنمية بكل أبعادها، وذلك بشكل منسجم مع بيئة تتسارع فيها التطورات الاقتصادية والحضرية وما يرتبط بها من تغيرات اجتماعية معقدة. في هذه الظروف، يصبح الموروث الثقافي والشعبي المكوّن الأساس في صياغة الشخصية الإماراتية التي ترسخ هذا الموروث في وجدانها، ويصبح جزءاً من ممارستها وحياتها اليومية، وذلك بشكل لا يتعارض مع تنميتها في كل مجالات العلوم والتقنيات الحديثة.

وأخيراً فإن الموروث التاريخي، سواء كان مادياً أو غير مادي، يمكن أن يصبح ركيزة للإبداع، ذلك أن الحس بعمق الانتماء والفخر يولد ثقة كبيرة بالنفس وعزيمة للعطاء. إضافة إلى ذلك فإن إنجازات السلف يمكن أن تكون مصدراً غنياً للإلهام للأجيال الحالية واللاحقة، ومحفزاً للنمو المستدام المبني على التماسك والتضامن الاجتماعي.

جھود دولة الإمارات العربية المتحدة في صون كنوزها التراثية

عائشة علي الحمادي



مقدّمة

إرث حضاري وأصالة متجذرة لتراث أصيل يتوّج ماضي الأجداد الأولين. بداوة بسيطة استوطنت قلوب أبنائها الذين بأجيالهم المتواترة عاصروا الجهود الجبارة للقيادة الرشيدة في صون التراث الإماراتي ليبقى في تلافيف الذاكرة الوطنية. ويتجلّى هذا الصون في تشييد القرى التراثية على امتداد مساحة الوطن بإماراته السبعة، والتي تحتضن 45 متحفاً وما يزيد، ومهرجانات سنوية شعبية تحتفي بالتراث. نافذة رحبة متنقّسها شعر شعبي، صقارة محترفة وحرف تقليدية، وغيرها الكثير من الموروثات الشعبية التي تفخر دولة الإمارات بإدراجها في قائمة التراث الثقافي العالمي غير المادي (Editorial, 2021).

وفي الحديث عن الجهود المبذولة لترسيخ التراث المحلي تراثاً إنسانياً عالمياً، فقد حققت دولة الإمارات فوزاً مستحقاً في عضوية المجلس التنفيذي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) والمستمرة لغاية عام 2023، حيث تعمل من خلاله على استثمار عضويتها في المنظمة للتعريف بكنوزها التراثية. وهي عضوية ترمي الدولة تكريسها إنجازات على مستوى أهدافها المرسومة في هذا الاتجاه من خلال ميادين الابتكار والتكنولوجيا (Editorial, 2021).

ترتبط دولة الإمارات بسجل حافل من الأطر التعاونية مع منظمة اليونسكو منذ فجر اتحادها، حيث انضمت إلى عضوية المنظمة في 20 إبريل من عام 1972 وذلك بعد عام واحد من قيام الاتحاد في ديسمبر من عام 1971. وفي عام 2011، أدرجت واحة العين، "المدينة الخضراء" في إمارة أبوظبي كأول موقع تاريخي على قائمة التراث الإنساني العالمي في قلب الكثبان الرملية المترامية والتي تحتضن مواقع أثرية يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث (Editorial, 2021).

تتجلى شواهدنا في فن العمارة والرياضات والفنون الشعبية، والحرف والمهن التقليدية والأطباق الشعبية، وأيضاً في المواقع الأثرية والتاريخية، والتقاليد والأعراف والموروثات الإسلامية (المرجع: التراث العربي والإسلامي، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة 2021).

وتوازياً، للتراث الإماراتي مكوناته الإنسانية من حسن آداب الضيافة وقيم التسامح والترابط العائلي

والتلاحم الاجتماعي والتي تنصهر افتخاراً واعتزازاً في بوتقة التراث العربي والإسلامي (المرجع: التراث العربي والإسلامي، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة 2021).

ومن هذا المنطلق، يرمي هذا البحث إلى إلقاء الضوء على جهود دولة الإمارات في رعاية كنوزها التراثية وصياغة رؤية جديدة تهدف لجعل كنوز أرضها الطيبة مقصداً سياحياً عالمياً.

أهمية البحث ومنهجيته

يرمي البحث إلى التأكيد على العمق التاريخي لدولة الإمارات العربية المتحدة في جميع إماراتها وأهمية إبرازه والحفاظ عليه، وتمّ في هذا البحث اعتماد منهجية السرد والتوصيف للوصول إلى غاية البحث.

نبذة عن المواقع الأثرية في الإمارات

أبو ظبي

ذكرنا في تمهيد البحث أن منظمة اليونسكو أدرجت مدينة العين في إمارة أبوظبي كموقع من مواقع التراث العالمي الأثرية، وهي التي تشتهر بواحاتها الست الغناء ومواقعها الأثرية، منها موقع بدع بنت سعود، موقع هيلي وموقع جبل حفيت (المرجع: التراث العربي والإسلامي، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة 2021).

بدع بنت سعود

يتواجد موقع بدع بنت سعود على بعد 25 كيلو متراً شمال العين، ويضم عدداً هائلاً من الاكتشافات الأثرية تشمل مدافن قديمة يعود تاريخها إلى 5000 عام، وأنظمة ري وبنى ترقى إلى العصر الحديدي (1300 - 300 قبل الميلاد)، منها بنيان نادر من العصر الحديدي، وغيرها من الآثار التي تعزز أهمية المنطقة، التي كانت في الأغلب استراحة على طريق القوافل الممتد من مدينة العين إلى شمال الإمارات العربية المتحدة (publisher_handle, 2018). ومن أبرز معالم المنطقة مرتفع جرن بنت سعود الصخري الذي يصل طوله إلى 40 متراً، ويتميز بإطلالته على المناظر الطبيعية المحيطة. وكانت أعمال التنقيب كشفت عن مقابر ومدافن على طول

الجانبين العلوي والشرقي للجرن، وعلى أنظمة ري وبنى أخرى جنوباً (publisher_handle, 2018).

مدافن جبل حفيت

تؤرخ حضارة حفيت لبداية العصر البرونزي في دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث أظهرت عمليات التنقيب التي قامت بها البعثة الدنماركية منذ عام 1959 أن الإنسان القديم استوطن منطقة العين منذ نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد. ويُستدل على ذلك من خلال اللقى الأثرية التي تم العثور عليها في منطقة جبل

حفيت، كالفخار والأدوات الحجرية من العصر البرونزي المبكر، والتي تعود إلى نحو 5000 عام، وهي تقدم أدلة رائعة على البراعة والمهارات الحرفية للأسلاف الأوائل لسكان العين (Jebel Hafit Tombs , n.d.).

منتزه آثار الهيلي

يقع المنتزه على مسافة 10 كيلومترات من مدينة العين (على طريق دبي) وحوالي ساعة ونصف من أبو ظبي العاصمة. وهو يُعدّ حديقة عامة وموقعاً أثرياً مذهلاً جاذباً لمحبي الآثار ووجهة مثالية للمقيمين



والزوار من العالم (Hili archaeological park, n.d.). وقد صُمِّمَ بعض أجزاء هذا الموقع إلى منتزه آثار الهيلي الذي تم تصميمه لتسليط الضوء على الآثار التاريخية وإتاحتها للزوار.

يحتوي هذا الموقع الدليل على وجود أول قرية زراعية في دولة الإمارات، فضلاً عن العديد من آثار القرى والمدافن والقلاع والأنظمة الزراعية التي يعود تاريخها إلى العصرين البرونزي والحديدي. تقع أول قرية زراعية في موقع (الهيلي 8) ويعود تاريخها إلى 3000 عام قبل الميلاد. كما يمكن مشاهدة القطع الأثرية المستخرجة من هذه المواقع في متحف العين الوطني (Hili archaeological park, n.d.).

توسعت مستوطنة الهيلي في الفترة الممتدة بين 2500 و 2000 قبل الميلاد. سُمِّيت هذه الفترة بـ "حقبة أم النار" تيمناً باسم الجزيرة الواقعة على ساحل أبو ظبي، حيث عُثِر لأول مرة على بقايا هذه الحضارة. يضم الموقع أكبر مجموعة من المدافن والمباني في دولة الإمارات والتي تعود إلى هذه الحقبة. كما يقع عدد من هذه الأبنية التي تعود إلى العصر البرونزي في منتزه آثار الهيلي، المنتزه الأثري الذي يستقبل زواره استمتعاً أو استكشافاً.

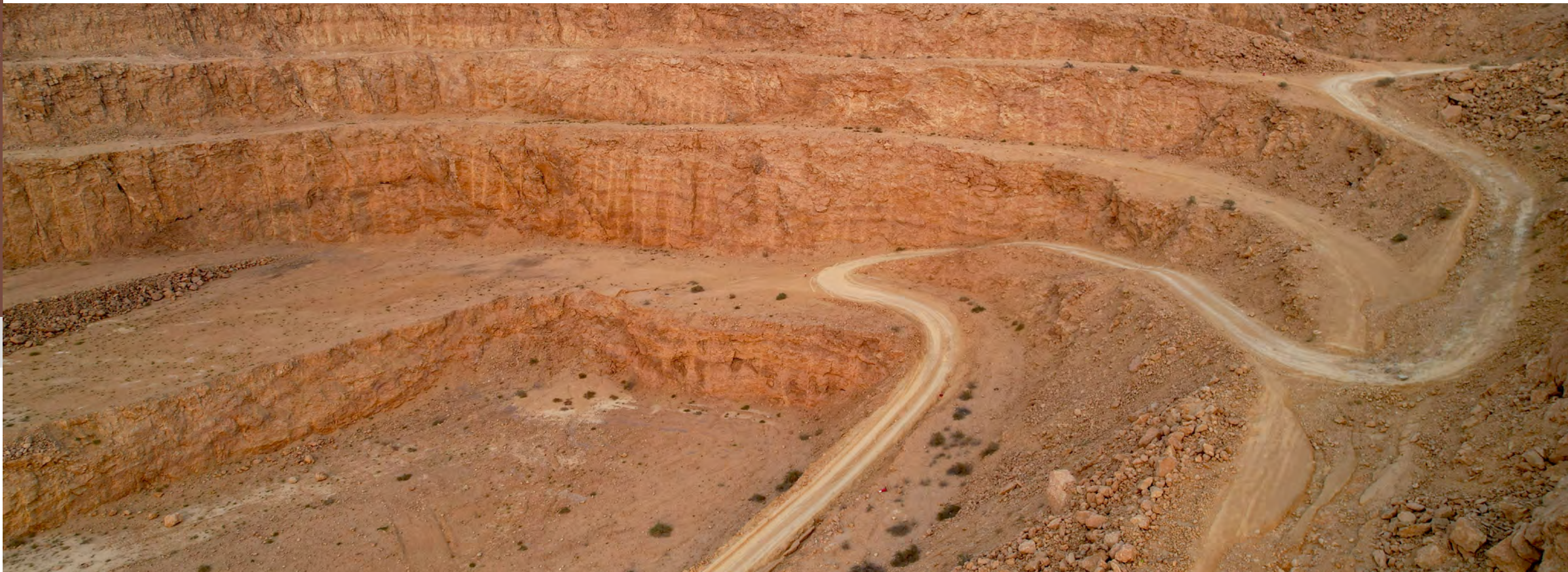
يُعد مدفن الهيلي الكبير من أهم البنى الأثرية في الموقع، وقد تم بناؤه منذ 2000 عام قبل الميلاد على شكل دائري بقطر يبلغ 12 متراً فيما يبلغ



ارتفاعه 4 أمتار تقريباً، وكان يُستخدم لدفن الموتى من المستوطنات المحيطة. يشتمل المدفن على مدخلين مزينين بنقوش محفورة بشكل جميل تحاكي أشكال البشر والحيوانات. ويحيط بالمدفن عدد من المدافن الأخرى التي تعود للحقبة الزمنية نفسها، يربط بينها ممر أثري تم ترتيبه ليسهل عبور الزوار الراغبين في التعرف على حضارة أم النار عن كثب (Hili archaeological park, n.d.).

كما تنتشر حول منتزه آثار الهيلي بنى أثرية أخرى تتألف بشكل رئيس من حديقة تضم نباتات ونوافير مياه ومساحة لعب صغيرة للأطفال، مع الإشارة إلى أن منتزه الهيلي يقع بمحاذاة (وادي الأحافير)، وهي منطقة تضم مجموعة متنوعة من الأحافير (المستحاثات) التي تعود إلى آلاف السنين عندما كانت مياه البحر لا تزال تغمر المنطقة (Hili archaeological park, n.d.).





البحاير في موقع مليحة الأثري - إمارة الشارقة

الشارقة

إمارة العواصم الثقافية، اختارتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) عاصمة التراث والثقافة عام 1998، لتتوجها فوزاً آخر عام 2014 كعاصمة الثقافة الإسلامية من قبل منظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو). ويعتبر متحف حصن الشارقة والموقع الأثري في مليحة من أبرز المواقع الأثرية في الإمارة (المراجع: التراث العربي والإسلامي، البوابة الرسمية لحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة 2021).

متحف حصن الشارقة الأثري

يُعد متحف حصن الشارقة معلماً حضارياً من أبرز المعالم التاريخية والتراثية في قلب الإمارة. معلم

شامخ يروي لزاثره مسيرة حافلة عاشتها الإمارة، تقلّب فيها الحصن في رحلته عبر الزمن من قلعة منيعة تدود عن الإمارة إلى مقر لعرض المقتنيات الأثرية.

متحف الحصن- الشارقة

شاهد على التاريخ والأصالة المعمارية، يحتضن متحف الحصن في الشارقة حقبة هامة من تاريخ الإمارة والإمارات عموماً.

رحلة عبور زمنية عمرها مئتا عام يرويها متحف الحصن عن تاريخ الإمارة. تم تشييد الحصن عام 1823، وكان قلعة عتيقة ومقرّاً سكنياً وإدارياً لعائلة القواسم الحاكمة، ومركزاً للعدالة من خلال غرفة السجن فيه والتي كانت تجسّد نظام العدل الأول في الإمارة. وأبواب الحصن مفتوحة لكل زائر راغب في التعرف

على هذا المعلم التراثي النابض بعبق الأصالة والتاريخ (Historic Areas & Heritage Sites in Sharjah mybayut, n.d.)

يضم المتحف اليوم مقتنيات واسعة من الصور والقطع الأثرية، خزنة السلاح واستراتيجيات الدفاع التي كانت تستخدم للدود عن الإمارة، وأيضاً المديسة والتي تتيح لزائر المتحف التعرف على صنع أهالي الإمارة للدبس، ليكون حصن الشارقة شاهداً حياً على العمق التاريخي للإمارة

(Historic Areas & Heritage Sites in Sharjah mybayut, n.d.)

مركز مليحة للآثار

سفرة عبر الزمن إلى الماضي، أيام السكان الأولين في شبة الجزيرة العربية. يتواجد الموقع في المنطقة

الوسطى لإمارة الشارقة وقد تم إدراجه ضمن القائمة التمهيدية لمواقع التراث العالمي التي تشرف عليها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، لتكون المليحة تأكيداً على غنى الموروث الحضاري الإماراتي، وشاهدة على التقاء الحضارات الإنسانية على أرضها. وخير دليل على العمق التاريخي للمليحة والتي تؤكد أثر الاستيطان البشري القديم للمنطقة انتشار المقابر من العصر البرونزي والحصون التي تعود لحقبة ما قبل الإسلام، وأيضاً بعض المكتشفات كالفخاريات والقطع الحديدية، وهياكل الإبل وغيرها الكثير من اللقى الأثرية التي يختزنها مركز مليحة للآثار الذي تم افتتاحه عام 2016 ليكون مرآة الأزمنة الغابرة لحال دولة الإمارات العربية المتحدة قبل آلاف السنين، (Mleiha, n.d.).

عجمان

الإمارة الأصغر الجامعة بين جمال الطبيعة وامتداد الشواطئ اللازوردية والمواقع الأثرية والثقافية والتي تنظّم لها الرحلات الاستكشافية لقاصديها؛ تاريخ زاخر يرويه متحف عجمان، أحد أبرز المعالم التراثية في الإمارة (Heritage tourism in the Emirates, 2018).

متحف عجمان

يُعد متحف عجمان المعلم الشامخ الراوي لماضي هذه الإمارة التاريخي، حيث كان في القرن الثامن عشر المقر السكاني للحاكم والحصن المنيع وخط الدفاع الأول للإمارة حتى عام 1970 عندما تقرر تحويله إلى متحف متكامل (Ajman Museum, n.d). يحوي المتحف مقتنيات أثرية من كتب قديمة تعود لقرون خلت، ومجموعة كبيرة من الأسلحة ومجسمات مراكب الداو، بالإضافة إلى نظم الزراعة الابتكارية في عصرها، ليكون المتحف سجلاً تاريخياً لمآثر الأجداد وتراثهم.

ومن متحف عجمان إلى منطقة المويهات والتي تُعد من أشهر المواقع الأثرية في الإمارة، حيث كشفت أعمال التنقيب عن عدد من الأواني الفخارية والحجار المصقولة التي كانت تدفن مع الموتى وتعود إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، بما يضيف على المويهات ميزتها الأثرية في العراقة التاريخية. ولتاريخ الإمارة وقفة مع قلعة الفجيرة التي تعكس فن العمارة الأولى وحكايات الغوص على اللؤلؤ في الإمارة (Ajman Museum, n.d).

دبي

حي الفهيدي التاريخي

تنوزع المواقع والمباني التاريخية والقلاع والقصور في مناطق عدة من إمارة دبي ويعود تاريخها إلى ألبات زمنية ماضية (Heritage Tourism in the Emirates, 2018).

يتميز حي الفهيدي التاريخي بنمط الحياة التقليدية حيث المباني ذات البراجيل الشامخة، والمشيدة بمواد البناء التقليدية من الحجر المرجاني، والجص، وخشب الساج، وخشب السندل، وسعف وجذوع النخل- مباني متراسة بشكل تلقائي تفصل بينها الأزقة والسكك والساحات العامة، لتضفي على الحي تنوعاً جمالياً طبيعياً.

وقد لعب الحي بحكم موقعه الاستراتيجي على خور دبي دوراً مهماً في إدارة دبي وتنظيم علاقاتها التجارية العابرة للبحار، كما لا يزال الحي مجاوراً لديوان سمو حاكم دبي (Main CONETNT Home, n.d).

أم القيوين

تتخزّن أم القيوين بأكثر من 1,000 مبنى تاريخي يعود بعضها إلى قرنين ماضيين، وتشتهر أم القيوين القديمة بأنها أحد أكبر المواقع التاريخية بين الإمارات الأخرى (المنطقة القديمة في أم القيوين، تراث عمراني وماضي عريق n.d).

حصن فلج المعلا

يقع حصن فلج المعلا في مدينة الواحة التي تحمل الاسم نفسه، وكانت منطقة فلج المعلا من أروع الأماكن للاستجمام صيفاً (القيص) عند أهالي الإمارات لتمييزها بزراعة النخيل والخضروات والليمون والمانجو. وتكمن أهمية الحصن في حماية ومراقبة الجهة الشمالية والبرية للإمارة (فلج المعلا، التاريخ في حصن منيع، 2021).

يمتاز الحصن بشكله المربع المميز بالإضافة إلى وجود برجين مرتفعين، الأول في الجهة الشمالية الشرقية من حصن فلج المعلا والثاني في الجهة الجنوبية الغربية المقابلة. وللحصن مسجد تابع له يتكون من (مربعة) كبيرة لإقامة الصلاة والشعائر الدينية، بالإضافة إلى المجلس الكبير الخاص بالحاكم والذي يطل مباشرة على الفناء الداخلي للحصن (فلج المعلا، التاريخ في حصن منيع، 2021).



متحف عجمان - إمارة عجمان



حصن الفهيدي - إمارة دبي



حصن فلج المعلا - إمارة أم القيوين

الفجيرة

قلعة الفجيرة

قلعة الفجيرة أهم وأكبر القلاع في الإمارة التي تشتهر بكنوزها الأثرية. بُنيت القلعة على ربوة مرتفعة في المنطقة القديمة من الإمارة حيث يبلغ ارتفاع بنائها حوالي 20 متراً عن سطح البحر، وهي تطل على مدينة الفجيرة وتبعد نحو 2 كم عن ساحل البحر، بما يجعلها مقصداً سياحياً هاماً (Heritage tourism in the Emirates, 2018).

تتميز قلعة الفجيرة بهندستها الفريدة عن باقي القلاع والحصون، والتي تتكون من ثلاثة أبراج دائرية، وبرج رابع مربع، وبناء طويل يشبه البرج في جزء منه (المواقع الأثرية، n.d.). وأما تصميمها الهندسي فهو مميز للغاية، إذ تترايط مباني القلعة بجدار واحد، تتوسطها قاعة مركزية.

بُنيت القلعة من مواد بسيطة كانت منتشرة في المنطقة، مثل الحجارة والحصى والطين والتبن والجص (الصاروج). ويُقدّر بناء القلعة بحسب الدراسات الكيميائية التحليلية المستخدمة (باستخدام كربون 14 المشع) إلى الفترة ما بين 1500 و 1550 للميلاد، وأعيد بناؤها في حوالي الفترة 1650 و 1700 للميلاد، حيث خضعت القلعة لترميم كامل مع أبراجها، كما العديد من القصور المحيطة بها. واستُخدمت في الترميم المواد نفسها التي بُنيت منها القلعة الأصلية (المواقع الأثرية، n.d.).

رأس الخيمة

الجزيرة الحمراء

تقع إمارة رأس الخيمة (جلفار قديماً) شمالي الإمارات، وهي تحتضن الكثير من المواقع الأثرية والتاريخية، منها القلاع والحصون (Heritage tourism in the Emirates, 2018).

وتعتبر الجزيرة الحمراء آخر المدن التراثية الأصيلة الباقية في الإمارات، وقد اعتمد سكان هذه الجزيرة الصغيرة في حياتهم على الصيد وتجارة اللؤلؤ قبل أن يغادروها في منتصف القرن العشرين مع موجة

التحول إلى الحداثة، تاركين وراءهم أثراً محفوظاً عن نمط الحياة في حقبة ما قبل اكتشاف النفط.

تُعتبر الجزيرة الحمراء منطقة فريدة من نوعها في رأس الخيمة والإمارات الأخرى. وتضم جميع مقومات المدينة الأثرية حيث تحتضن قلعة دفاعية وسوقاً صغيراً وعدداً من المساجد ومجموعة متنوعة من أنماط المنازل، البسيطة والمزخرفة منها ذات الساحات والتي تعود لتجار اللؤلؤ الأثرياء. وتُعتبر الجزيرة الحمراء من أفضل المناطق لدراسة الأبنية التقليدية المبنية من الحجارة المرجانية المتواجدة على طول ساحل دولة الإمارات العربية المتحدة (AI Jazirah Al Hamra, 2020).



الخاتمة

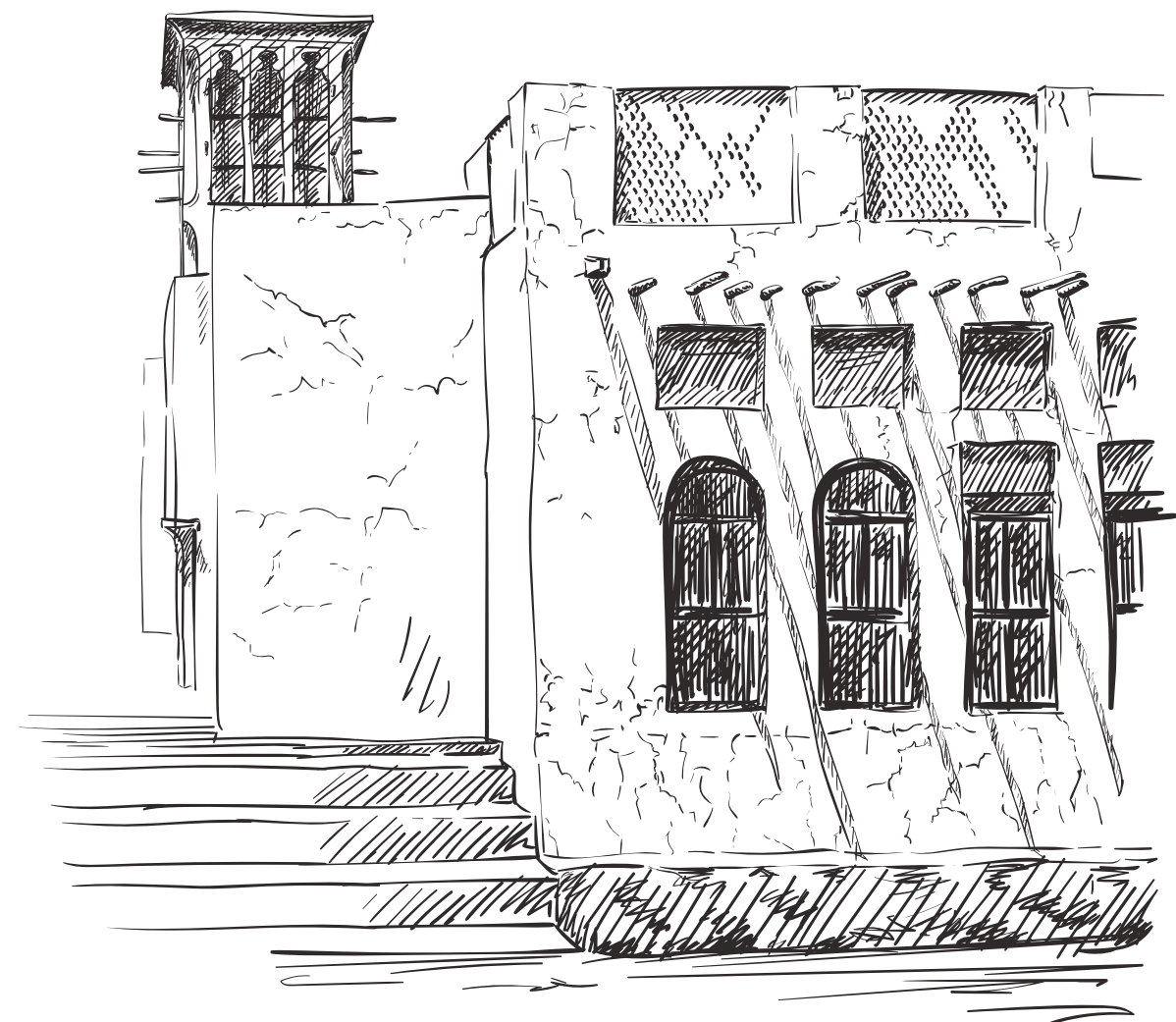
سعى البحث لإبراز جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في المحافظة على تراثها التاريخي، حيث اعتمد جمع البيانات من خلال شواهد المواقع واللقى الأثرية الراوية لأصالة هذا الوطن في إماراته السبع، منتهجاً مسار البحث النوعي ومعتمداً على البيانات الثانوية من منشورات المجلات العالمية والصحف المحلية والمواقع الحكومية.

والإمارات حافظة لتاريخها حاضرة لتراثها ترسخها قيماً حضارية متوارثة. ويتمثل حرص كل إمارة تحت جناح الدولة في تطوير معالم الجذب السياحي التراثي فيها.

جسور مترابطة سعيّت من خلالها إلى تعريف القارئ ببعض المواقع الأثرية الهامة التي تزخر بها دولتنا، وإلقاء

الضوء على بعض المواقع الأخرى التي تؤرخ أصالة هذه الأرض ومن قطنها. وكنت أتمنى لو يكون لي موطئ قدم في جميع المواقع التاريخية لأعيش روح التراث الأصيل.

وأخيراً، لا يسعني إلا القول بأن تراثنا في إماراتنا ليس مجرد مبانٍ نزورها ونمضي، أو سرداً أو حكاية نطويها، إنما التراث نبض الأجيال، جذرنا وهويتنا، علاقاتنا وعاداتنا، لهجتنا المحكية، تفاعلنا مع الغير. قيم مغروسة فينا نستذكرها في مقولة القائد الوالد، الغائب الحاضر أبداً، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان - طيب الله ثراه، بأن "الأمة بلا ماضي هي أمة بلا حاضر ولا مستقبل".

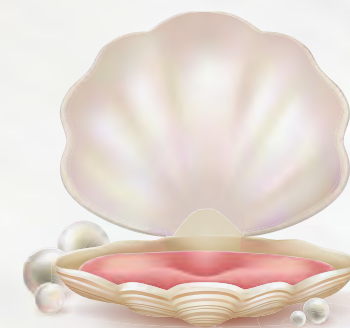


المراجع البحثية

- Ajman Museum. (n.d.). Retrieved January 9, 2022, from <https://ajman.travel/en/destinations/ajman-city/ajman-museum/>
- Ajman Museum. (n.d.). photograph, Ajman. Retrieved from <https://www.bayut.com/mybayut/ar/متحف-عجمان-التاريخي/>
- Al Jazirah Al Hamra. Visit Ras Al Khaimah. (2020, August 25). Retrieved January 9, 2022, from <https://visitasalkhaimah.com/discover/attractions/al-jazirah-al-hamra/>
- Arab and Islamic heritage - the official portal of the UAE Government. (2021). Retrieved January 7, 2022, from <https://u.ae/en/about-the-uae/culture/arab-and-islamic-heritage>
- BIDAA BINT SAUD, (2018). photograph. Retrieved January 7, 2022, from <https://abudhabiculture.ae/en/unesco/world-heritage-list/bida-bint-saud-unesco>
- Editorial, N. (2021, July 5). The UAE has made great strides in the preservation of its rich heritage. The National. Retrieved January 10, 2022, from <https://www.thenationalnews.com/opinion/editorial/the-uae-has-made-great-strides-in-the-preservation-of-its-rich-heritage-1.941523>
- Heritage tourism in the Emirates. tourism. (2018, May 3). Retrieved January 9, 2022, from <https://www.sa2eh.com/>
- Hili archaeological park. Visit Abu Dhabi. (n.d.). Retrieved January 7, 2022, from <https://visitabudhabi.ae/en/where-to-go/parks-and-zoos/hili-archaeological-garden>
- Historic Areas & Heritage Sites in sharjah - mybayut. A blog about homes, trends, tips & life in the UAE | MyBayut. (n.d.). Retrieved January 7, 2022, from <https://www.bayut.com/mybayut/museums-heritage-sites-historic-areas-sharjah/>
- Hili Archaeological Park. (n.d.). photograph, Al Ain. Retrieved from <https://visitabudhabi.ae/en/where-to-go/parks-and-zoos/hili-archaeological-garden>
- Jebel Hafit Tombs. visit Abu Dhabi. (n.d.). Retrieved January 7, 2022, from <https://visitabudhabi.ae/ar/what-to-see/iconic-landmarks/jebel-hafit-tombs>
- Jebel Hafit Tombs. (n.d.). visit abudhabi. photograph, Al Ain. Retrieved from <https://visitabudhabi.ae>
- Main CONETNT Home. DCA Lgo. (n.d.). Retrieved January 9, 2022, from <https://dubaiculture.gov.ae/en/Live-Our-Heritage/Pages/Al-Fahidi-Historical-Neighbourhood.aspx>
- Mleiha. Mleiha - Visit Sharjah. (n.d.). Retrieved January 7, 2022, from <https://www.visitsharjah.com/regions/central-region/mleiha/>
- Mleiha. (n.d.). Encounter the relics of pre-Islamic history in the desert. photograph, sharjah. Retrieved from <https://www.visitsharjah.com/regions/central-region/mleiha/>
- publisher_handle. (2018, December 18). Bidaa Bint Saud. Abu Dhabi Culture. Retrieved January 7, 2022, from <https://abudhabiculture.ae/en/unesco/world-heritage-list/bida-bint-saud-unesco>
- Sharjah Al Hisn Museum. (n.d.). Heritage sites and attractions in Sharjah. photograph, sharjah. Retrieved from <https://www.bayut.com/mybayut/museums-heritage-sites-historic-areas-sharjah/>
- 2021). فلج المعلا". التاريخ في حصن منيع. صحيفة الاتحاد. (January 10), صحيفة الاتحاد. (2021) www.alittihad.ae/news/
- 24 (n.d.). 24 - وام (n.d.). Retrieved January 9, 2022, from <https://24.ae/article/>
- مواقع الأثرية NRAS | المواقع الأثرية. قلعة الفجيرة. (n.d.). الجهة المشرفة: هيئة الفجيرة للسياحة والآثار from <http://nras.gov.ae/ar/content/%D9%82%D9%84%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D8%A9>



اندثار تجارة اللؤلؤ في
الخليج
دانات الأمس
أيقونات تراثية



ظبية سعيد المزروعى

مقدمة

لؤلؤة نابضة في قلب محارتها، درّة متفردة في غلاها، برّاقة في كسوتها، ساكنة في مغاصاتها، رائجة في صيتها، بنت المنطقة الخليجية، رافدة لاقتصادها.. أصلاتها في عتق زمانها، مذ سبعة آلاف وخمسمائة عام وما طال، من الإمارات ومَن مِن غيرها بداياتها؟ أشهرها (لؤلؤة أم القيوين) التي تحمل اسمها تيمناً بإمارة لقيها (TPS, 2022). وشَتان في النظرة إليها بين خليج الأمس واليوم، بين السلف والخلف، نعمة اقتصادية أم كنز تراثي في قاموس اعتباراتها. رحلة نبحر فيها مع حكاية الغوص نضوي من خلالها على سيرة اللؤلؤ البرّاق، في تبدّله من حال إلى حال، من عماد اقتصادي إلى رمز تراثي، تتصفح كتاب ماضيه في امتداده الخليجي، لنقف على أهميته في الحياة التجارية لأهل الخليج، متوقفين عند العوامل الجيوسياسية التي حفزت هذا التقلب، مستعرضين نماذج تحدّثنا عن تأيقنه رمزاً في خزانة التراث.

وحكاية الغوص على اللؤلؤ حكاية تمتد عقوداً طوال، عندما كان اللؤلؤ عصب الاقتصاد الخليجي ومصدر الرزق الأول للغالبية أبناء الجزيرة العربية. وعلى الرغم من خفاء بريقه مع بدايات القرن العشرين وتراجعته على الخارطة التجارية، إلا أنه لا يبرح وجدان أبناء الخليج، يبحرون في ذكراه مع مراكب (الداو أو الدهو بلفظيها) والتي كانت تجارة اللؤلؤ الجاذب لانتشارها في مياههم.

ومن أدبيات الكتب تتصفح تاريخ ظهوره في المنطقة، مدونات نسبر من خلالها جمال لؤلؤ الخليج وقيّمته المميزة، في ملحمة (جلجامش) قبل 700 عام قبل الميلاد الذي غاص في مياه الخليج باحثاً عن (زهرة الخلود)، وفي ذلك تلميح واضح على منزلة لؤلؤ الخليج منذ القدم (George, 1999)، ومؤرخات (بليني الأكبر) الفيلسوف الروماني والقائد البحري، في كتابه "التاريخ الطبيعي"، واصفاً لآل الخليج العربي بأنها أروع وأجمل ما رأت عيناه (Pliny & Rackham, 1938)، مع الإشارة الهامة إلى أن لؤلؤ الخليج كان يصدّر إلى بومباي، أكبر أسواق اللؤلؤ في العالم آنذاك.

وللوقوف على أهمية تجارة اللؤلؤ في الخليج ومدى تأثيره في عجلة الاقتصاد، نتوقّف أولاً عند (لوريمر) (Lorimer, 1908) وكتابه "دليل الخليج" الذي يقدّم فيه شواهد إحصائية على عدد المراكب والعاملين في مهنة الغوص على اللؤلؤ في هذه المناطق في عام 1907.

وفي جولة تعدادية، ننطلق معها من الساحل المتصالح مع 1,215 مركباً و22,045 عامل (31% من السكان)، والبحرين 917 مركباً و17,633 عامل (18% من السكان)، وقطر 817 مركباً و12,890 عامل (48% من السكان) وقوفاً عند الساحل الإيراني مع 960 مركباً و9,230 عامل (0.3% من السكان)، والكويت 461 مركباً و9,200 عامل (25% من السكان)، وصولاً إلى ساحل الأحساء مع 167 مركباً و3,444 عامل (10% من السكان). وفي محصلة عامة، شهدت مياه شبه الجزيرة العربية 4,537 مركباً و74,442 عامل على متنها، بما يمثّل 26% من متوسط عدد سكان شرق الجزيرة العربية. وتعكس هذه الأرقام مدى انتشار صيد اللؤلؤ كمهنة يحترفها سكان شرق شبه الجزيرة العربية من خلال الأعداد الكبيرة من القوى العاملة المنخرطة في مجاله ومن محصلة صادراته المجمّعة على مدى ثلاثة عقود. وفي هذا الاتجاه، يسوق الباحث (Lorimer, 1908) براهن إحصائية على القيمة الإجمالية لصادرات الخليج من اللؤلؤ، مستثنياً في حسبه الكويت والمملكة العربية السعودية، وهي تالياً: إجمالي 68256260 روبية من 1882/3-1873/4، و 99395400 روبية من 1893/4 إلى 1902/3، و 160359518 روبية من 1893/4 إلى 1902/3. ونلاحظ أن القيمة الإجمالية لصادرات اللؤلؤ في العقد الأخير كانت أكثر من ضعف القيمة الإجمالية لصادراته في الفترة بين 1873/4 و1882/3.

شهد الاقتصاد الخليجي تغيرات جذرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تحديداً في طبيعة التجارة. فخلال هذه الفترة، بدأت منطقة الخليج بالاندماج في الاقتصاد العالمي، حيث شقت البضائع الخليجية المختلفة طريقها إلى أسواق جنوب آسيا وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ومع ولوج المنتجات القديمة الأسواق الجديدة، تغيّرت الشركات التجارية التي كانت تنقل السلع عبر المحيط الهندي استجابة للقيود والفرص المتغيرة التي فرضها النظام التجاري الجديد. كما برز في القرن التاسع عشر نظام اقتصادي عالمي تميز بنشاط تجاري واسع، مكتسباً مصداقية كبيرة (Bishara et al., 2016). وبحلول عام 1869، كانت السفن البخارية الأولى تجوب مياه المحيط الهندي متحدي الرياح الموسمية، حاملة معها أنماطاً تجارية جديدة في الحركة البحرية. ورافقت هذه المشهدية تطوير الشركات المدعومة من بريطانيا لشبكة التلغراف عابر المحيطات، والأهم قيام نظام





مصرفي بريطاني مقره في الهند، ليقلب بإنشائه موازين التمويل التجاري السائد آنذاك وينقله من أيدي التجار والمقرضين ويحصره في مقار المصارف الرسمية المرتبطة برؤوس الأموال الأوروبية (Bishara et al. 2016).

سهلت هذه البنية التحتية العالمية الجديدة ازدهار سوق اللؤلؤ في الخليج في أواخر القرن التاسع عشر، مع ارتفاع الطلب على اللؤلؤ في أوروبا وأمريكا الشمالية وبرز الطبقات المخملية الأوروبية والأمريكية وإقبالها على شراء المنتجات الفاخرة، ومنها اللؤلؤ. وكانت هذه العوامل حافزاً لتجار اللؤلؤ الأوروبيين لدخول سوق اللؤلؤ بشكل غير مباشر عن طريق سوق اللؤلؤ الكبير في مدينة بومباي وعبر تجار اللؤلؤ في الخليج، أو بشكل مباشر من خلال البحرين التي رسخت نفسها آنذاك كأكبر سوق للؤلؤ في الخليج في القرن التاسع عشر. والواقع أنه لولا تنظيم حركة السفن البخارية في الخليج والمحيط الهندي وإطلاق الشبكة التلغرافية عابرة المحيطات لما تمكّن التجار الأوروبيون من التواصل مع أسواق بلدانهم والاستعلام عن طلبات المشتريات من اللؤلؤ بشكل أفضل، مما فتح لهم دخول تجارة اللؤلؤ من أبوابها الواسعة (Bishara et al. 2016). كما كان لارتفاع الطلب على اللؤلؤ ودخول المنافسين الأوروبيين السوق الهندية تأثير كبير على أسعار لؤلؤ الخليج، بما أدى إلى تضاعف سعره في منتصف القرن التاسع عشر وفقاً لتقرير "إدارة الخليج العربي" (1877 - 1878). ويمكن القول إن القيمة الإجمالية لصادرات اللؤلؤ الخليجي ارتفعت ثلاثة أضعاف بين 1890 ومطلع 1900، وكانت للبحرين حصة الأسد مع زيادة قيمة صادرات اللؤلؤ فيها حوالي 600 % بين عامي 1873 و 1906 (Bishara et al., 2016).

كُتبت بداية نهاية عصر اللؤلؤ الذهبي في الخليج مع انتشار اللؤلؤ الياباني الاصطناعي في عشرينات القرن الماضي ودخوله السوق بكميات كبيرة. وزاد الوضع قتامة الكساد الاقتصادي الذي خلفته الحرب العالمية الثانية وعجز أصحاب المراكب عن تجهيز مراكبهم مع ارتفاع أسعار المواد الغذائية. ومع حلول السنوات العجاف، وصلت المجاعة حداً مزدرياً كان الموت عنوانها الأكبر (Carter, 2005). وأمام هذه التحديات الاقتصادية، دخلت صناعة اللؤلؤ في الخليج النفق المظلم، لتسجل انتكاسة تلو الانتكاسة مع انخفاض إجمالي قيمة الصادرات إلى 200,000 دولار بحلول عام

1949 مقارنة بـ 1,500,000 دولار عام 1896، وتراجع عدد مراكب الغوص إلى 530 مركباً مقابل 4500 مركب في أيام عزّ مواسمه (Bowen, 1951). وفي تبيان أهمية تجارة اللؤلؤ في منطقة الخليج، نسترجع فرضية (لوريمار) (Lorimer, 1908) في تصوّره لمدى التأثير الشديد لتجارة اللؤلؤ في الكويت وتقلص حجمها في البحرين، والتلاشي التام لموانئ عُمان المتصالحة التي كان الغوص على اللؤلؤ فيها مورد رزقها الوحيد. وتأتي هذه الفرضية لتؤكد أهمية اعتماد أهل الساحل الشرقي للجزيرة العربية بشكل كبير على مغاصات اللؤلؤ، كذلك منطقة الخليج العربي في أوائل القرن العشرين.

وتوازيًا مع الانهيار الاقتصادي العالمي، ظهر اللؤلؤ الياباني المستزرع (الاصطناعي) والذي سحب البساط من تحت اقدام لؤلؤ الخليج الطبيعي وأدى إلى حدوث الانهيار الكارثي الكبير وتدهور اقتصاد المنطقة، رغم الاستمرار الخجول لتجارته في القرن العشرين، خاصة مع الإغلاق الرسمي لسوق المحار في الكويت في عام 2000، ليسدّل بإغلاقه الستار على حرفة عمرها 7000 عام من صيد اللؤلؤ في المنطقة (Carter, 2005).

وعلى الرغم من النكبة التي ألمّت بتجارة اللؤلؤ في الحقبة التاريخية الماضية، إلا أن الإمارات احتلت المرتبة السادسة عشرة بين أكبر المصدّرين العالميين للؤلؤ (World Bank, 2018). وأما الحديث عن أقول تجارة اللؤلؤ، فهو للمقارنة بين اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ المستزرع، ومعايشة المسار التاريخي للؤلؤ في الخليج، من الطفرة إلى التراجع، وصولاً إلى تأريثه ركناً ثقافياً وحضارياً.

نتوقف عند العامل الجيوسياسي في منطقة الخليج، واحتشاد المصالح الأجنبية بفعل المكانة الاستراتيجية للمنطقة وتموضع الإمبراطورية البريطانية، والتحول الذي عرفته صناعة اللؤلؤ ليس فقط على المستويين السياسي والاقتصادي، بل والثقافي أيضاً.

وعلى مدار أكثر من 150 عاماً، من عام 1820 وحتى انسحابها في عام 1971، كانت بريطانيا هي القوة المهيمنة في منطقة الخليج. ومثلما الحال مع غيرها من القوى الأوروبية الأخرى، كان اهتمام بريطانيا في البداية بمنطقة الخليج، والذي انطلق في القرن السابع عشر تكريساً لمصالحها التجارية. وبدأت طبيعة

التدخل البريطاني تتغير بعد أن تمكنت من توطيد وتوسيع ممتلكاتها الاستعمارية في الهند. وكانت شركة الهند الشرقية، أحد أكبر الكيانات التجارية، لاعباً أساسياً في هذه التطورات. ومنذ سبعينات القرن الثامن عشر وما تلاها، تطور وضع هذه الشركة من سيطرة اقتصادية إلى سيطرة سياسية ساعد في تعزيزها جيشها وأسطولها الخاصين بها. وبعد أن أصبحت ممتلكات الشركة في الهند مربحة للغاية، اكتسبت المنطقة المحيطة إلى جانب المسارات التجارية من وإلى الهند أهمية جديدة بالنسبة للشركة. وبهذا ازدادت مشاركتها في منطقة الخليج مباشرة. وعلى الرغم من سعيها في البداية لحماية سفنها وموظفيها في المنطقة، فإن ذلك قد تطور إلى سيطرة سياسية فرضها استخدام القوات العسكرية ولا سيما البحرية (Onley, 2005). ومن منتصف القرن التاسع عشر وما تلاه، توطدت الهيمنة البريطانية على منطقة الخليج من خلال التواجد العسكري البحري فيها. وبعد عام 1947 واستقلال الهند، تولّت الحكومة البريطانية مسؤولية المحافظة على النفوذ البريطاني في الخليج. وخلال هذه الحقبة، كان اكتشاف حقول النفط الهائلة يعني اكتساب منطقة الخليج أهمية جيواستراتيجية كبيرة، ولم تعد أهميتها تكمن في علاقتها بالهند وقربها منها.

إن التركيز على التحول الجيوسياسي في منطقة الخليج والمتغيرات الاقتصادية والتجارية التي شهدتها ساعد في إقصاء تجارة اللؤلؤ من قائمة المصالح الجديدة التي برزت على الساحة الخليجية. ومع خبو العصر الذهبي لمغاصات اللؤلؤ والتدني الكبير للمستويات المعيشية في الخليج، كانت هناك عوامل أخرى خارجية تبسط جناحها، على رأسها الموقع الاستراتيجي للمنطقة والموارد الجديدة المكتشفة والتي صرفت اهتمام أهل الخليج عن تجارة اللؤلؤ التي كانت مورد رزقهم الأساسي. وكانت هذه العوامل مجتمعة نقطة جذب هامة للفرص الزاخرة التي حملتها، ليدخل معها اللؤلؤ ذاكرة التراث.

ومع دخول دول الخليج أطوار الحداثة، أصبح اللؤلؤ رمزاً تراثياً ثقافياً أكثر منه مهنة ومورد رزق. وحتى لا يغوص اللؤلؤ في ذاكرة البحر، تحرص دول الخليج على صونه كرمزية أساسية في الهوية الثقافية والعمل على استمراريته كإرث خليجي مشترك. وفي إطار هذه الجهود تتوقف عند (عبد الله السويدي) وما يبذله

من جهد لإحياء صناعة السيد اللؤلؤ التي غابت من المنطقة منذ أكثر من قرن من خلال تأسيسه مزرعة "لؤلؤ السويدي" في رأس الخيمة، المتخصصة بتلقيح وزراعة المحار، والتي تفتح أبوابها أمام الزوار لتبادل التراث الثقافي الفريد لتجارة اللؤلؤ (Suwaidi Pearls, n.d.).

ومن الإمارات إلى الكويت مع تنظيم "رحلات إحياء ذكرى الغوص" فيها والتي تجاوزت 30 رحلة، وذلك في إطار الجهود المستمرة لإحياء ذاكرة الغوص على اللؤلؤ وغيره من الموروثات الثقافية التي شكلت يوماً عصب الاقتصاد ما قبل الطفرة النفطية، لتسجل في عام 2019 الرقم 31 في سلسلة رحلات الغوص الممتدة ثلاثة أسابيع، والتي جمعت 228 رجلاً على متن 13 سفينة غوص (Filipino Times, 2019).

وأمثلة الاهتمام بتراث الغوص لا تعدّ ولا تحصى، وإنما أردنا من خلال نموذجي الإمارات والكويت التأكيد على أن الغوص ليس مجرد رمز تراثي، بل ذاكرة نابضة في قلوب أبناء الخليج. ويتجلى هذا في الجهود المبذولة لإحياء مهنة الأجداد، وجعلها مكوّناً تراثياً ثقافياً. ويكفي الجهود الطيبة على مستوى تأسيس مشاريع الأعمال والمبادرات الفردية والتي تتبع من شغف خليجي مشترك بالبحر، والتي قد لا تدخل في مقومات الاقتصاد وعوائده، ولكنها بالطبع ذات عوائد إنسانية مرتبطة بالوجدان الخليجي تراثاً وثقافة.

وتجدر الإشارة إلى أن تحول صناعة اللؤلؤ لم يكن تحولاً طبيعياً فحسب، بل كان تحولاً مدعوماً بجملة عوامل داخلية. وقد تناول البحث التحول الجيوسياسي الذي عاشته المنطقة بعد أن كانت صناعة اللؤلؤ مصدر الرزق الأول لها، ولا نغفل جهود المجتمعات الخليجية في إعادة بناء تراثها، ومنها إعادة إحياء صناعة اللؤلؤ في دول الخليج ذات النشأة الفتية. ولأن الحداثة كانت مقياس التطور لدى المستعمر، كان على هذه الدول الناشئة ركوب عجلة الحداثة بخطى حثيثة لتلحق بالدول المتقدمة وبالمقومات الاقتصادية الجديدة آنذاك وتتخلى عن تجارة اللؤلؤ كمصدر للعيش، لتدخل بذلك دانات الأمس زمن العولمة وتضحى تراثاً بحرياً في ذاكرة وطن.



المراجع البحثية

- About Us | Pearls. Retrieved 11 October 2021, from <https://suwaidipearls.ae/about-us/>
- Bishara, Fahad Ahmad, Haykel, Bernard, Hertog, Steffen, Holes, Clive and Onley, James (2016) The economic transformation of the Gulf. In: Peterson, J. E., (ed.) The Emergence of the Gulf States: Studies in Modern History. Bloomsbury Publishing, London, UK. ISBN 9781472587626
- Bowen, R. L. (1951). The Pearl Fisheries of the Persian Gulf. Middle East Journal, 5(2), 161–180. <http://www.jstor.org/stable/4322269>
- Carter, R. (2005). The History and Prehistory of Pearling in the Persian Gulf, Journal of the Economic and Social History of the Orient, 48(2), 139-209. doi: <https://doi.org/10.1163/1568520054127149>
- George, A. 1999. The Epic of Gilgamesh. The Babylonian Epic Poem and Other Texts in Akkadian and Sumerian. Harmondsworth, UK: Allen Lane The Penguin Press.
- Kuwait revives pre-oil pearling. (2019). Retrieved 11 October 2021, from <https://filipinotimes.net/global-news/2019/08/04/kuwait-revives-pre-oil-pearling/>
- Lorimer, J. G. (1908). Gazetteer of the Persian Gulf, 'Omān and Central Arabia.
- Onley, J. (2005). Britain's informal empire in the Gulf. Journal of Social Affairs, 22(87), 29-45.
- Pearls; articles of natural or cultured pearls exports by country |2018. (2018). Retrieved 11 October 2021, from <https://wits.worldbank.org/trade/comtrade/en/country/ALL/year/2018/tradeflow/Exports/partner/WLD/product/711610%20>
- Pliny, ., & Rackham, H. (1938). Natural history. Cambridge, Mass: Harvard University Press.
- 16 interesting facts about pearls. TPS Blog. (2020, April 2). Retrieved October 11, 2021, from <https://www.thepearlsource.com/blog/pearl-facts-beautiful-organic-essence-pearls/>

المدن الحضرية وفقدان اللهجات القبلية عبر الأجيال

سيف سعيد الشامي





مقدّمة

مدّنية على عُجالة، وتوسع حضري يؤثر في المدن وقاطنيها، ظاهرة هامة يتوقف عندها أهل الاختصاص في العلوم الإنسانية والاجتماعية..مجتمعات في تغير متسم، عابر للأزمنة، يزكي فضول الباحثين في استكشاف أثر التحضر على المحكيات من اللهجات.

تتقاطع الحضرية بشكل أساسي مع مفهوم التطور العمراني ولها صفاتها المتميزة. وفي هذا الاتجاه، يتناول "لويس ويرث" أحد علماء الاجتماع الحضريين الرائدین في مقالاته "الحضرية كأسلوب للحياة" أشهر نظرياته، والتي تُعد من أهم الركائز التي تستند إليها الدراسات الحضرية. ويعتبر "ويرث" أن الحضرية

مرتبطة بشكل رئيس بنمط العيش في المدن، وأن المجتمعات الحضرية تتميز بالحجم والكثافة المرتفعة للسكان وعدم التجانس الاجتماعي، وهي خصائص مميزة للمجتمع الحضري، ليتفوّق "ويرث" في توصيف نظريته على نظرائه في المجال، مع ما لهذه الصفات من أثر عميق على المتغيرات الاجتماعية الثقافية (Urbanism as a Way of Life 1970).

وفي الحديث عن التوسع الحضري، تأتي دولة الإمارات العربية المتحدة في طليعة الدول الريعية في منطقة الشرق الأوسط، والتي ارتكزت في طفرتها الحضرية على عائداتها النفطية وأيضاً على الرؤية الاستشرافية

لقيادتها الرشيدة في ضرورة إثراء التنوع الاقتصادي تحقيقاً للأهداف الوطنية. وقد انعكس الأداء الرفيع للحكومة الإماراتية نمواً مضطرباً في أدائها الاقتصادي في فترة زمنية وجيزة قياساً بالدول الأخرى في المنطقة، من 79,8% في عام 1971 إلى 86,78% في عام 2019 (The World Bank Urban Development 2019).

وفي مقابل المد الحضري الهائل الذي تشهده دولة الإمارات، نرى أن المبحث الأكاديمي والمحصلة البيانية التي تتناول الحضرية فيها لا يفي الظاهرة حقها في الدراسة والتحليل، لاسيّما في مؤثراتها الثقافية والاجتماعية. ولا ننسى أن الجذور الثقافية للمجتمعات الخليجية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنظام القبلي والتراث، بحيث تميز القبائل المختلفة نفسها بمجموعات من الاختلافات اللغوية في لهجتها العربية المحكية وتقاليدها.

وإن كانت اللغة العربية هي القاسم المشترك لأهل قبائل الإمارات، إلّا أن لبعض هذه القبائل فرائد لغوية تميزها عن باقي القبائل الأخرى، منها عشائر (الشحوح، الحبوس والظواهريين) القاطنين في المناطق الجبلية في إمارة رأس الخيمة، والتي يتميز أهلها بمخزون كبير من الألفاظ التي أخذت بالاندثار مع استيطانهم المدن الحضرية في الإمارات.

يتناول هذا البحث كيفية تأثير الحياة الحضرية على لهجات هذه القبائل الثلاث والعوامل التي ساهمت في انصهار لهجات أهلها في لهجات المدن الحضرية. فعلى الرغم من الدور التاريخي الهام للقبائل الثلاث، إلّا أن وتيرة المد الحضري كانت أسرع تأثيراً عليها من باقي أهل الإمارات الأخرى، خاصة بما وفرته من فرص عمل كبيرة وارتفاع في المداخل. وقد أدى تراكم هذه العوامل إلى الهجرة الداخلية لأهل هذه القبائل والذين استوطنوا مناطق الإمارات الحضرية مثل دبي وأبوظبي بحثاً عن مستقبل أفضل. وقد مثّل هذا الانتقال تحدياً كبيراً في اتباع نمط الحياة الحضرية الدخيلة عليهم، وشكّل صدمة اجتماعية ثقافية خاصة لكبارهم.

بالمقابل، انسجمت الأجيال الشابة من هذه القبائل مع النمط الحضري النابض فكان بداية ما يشبه الإنسلاخ الثقافي عن تقاليدهم وموروثاتهم الأصيلة، وفي لهجتهم التي أبت إلا أن تميل بعض الشيء للهجة أهل الحضر، وهو ما رأى فيه شُواب هذه القبائل ناقوس خطر داهم يهدد لسان حالهم، وتراث أمّتهم جمعاء. ومن هنا أهمية النواتج الحضرية التي يولّدها

التمازج القبلي الحضري، وما يمكن فعله للمحافظة على السمة الثقافية في الحاضرات الكوسموبوليتية في إمارات اليوم.

المراجعة الأدبية

يرى (وايلدر) في دراسة بحثية مشتركة (Wilder et al.- 2016) "أن النظم اللغوية هي نظم هشة تماماً كالنظم البيولوجية يسهل فقدانها أو كسرها إذا لم يتم الاعتناء بها". وعلى نقيضه، يعتبر "سيف الدين بور"، عالم اللسانيات في معهد اللغات العالمي في لندن "أن البعض لا يرى هشاشة في مفهوم اللغة، كونها فعلياً من صنيع الإنسان". وبالفعل، تحدد البيئة الإطار اللغوي لأهلها، بخاصة في ظل العولمة التي نعيشها اليوم والتي تتعرض فيها النظم اللغوية لمتغيرات جذرية، تجعل المدن الحضرية عاملاً يهدد صمود اللغة المحكية.

وإذا اعتبرنا العولمة السبب المباشر لاندثار اللهجات القبلية، فهي في الواقع التحدي المباشر للغة الضاد، اللغة الأم التي تتفرع منها اللهجات المحكية. وتأكيداً، تشهد المناطق الحضرية الإماراتية هجراناً لغوياً يتمثل في اتجاه أبنائها لاحتضان اللغات الأجنبية، وغربة لغتهم الأصلية. ويساعد في هذا التأثير أن المدن الحضرية هي أكثر المناطق عولمة وتباعداً عن الأصل في اللغة، وفي ذلك معضلة اجتماعية تشارك فيها الأقطار العربية بفعل الانفتاح المعاصر، بل هي شائكة عالمية بالسنينيات مختلفة تؤدي إلى تبدل في الطرائق الحياتية والأنماط اللغوية مع الانصهار في مدن العولمة. ويزيد من تعقد الأمر ابتعاد الأجيال الشابة عن التحدث بلغتها العربية، باختلاف لهجاتها، بتشجيع من الأهل أحياناً بحجة توافر الفرص الوظيفية لهم مستقبلاً. وتشير الاستطلاعات إلى أن السواد الأعظم من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا يعاني من تشرذم لهجته القبلية المحكية، منها دول السودان، عُمان، المغرب، الجزائر، سوريا، العراق، اليمن، تونس، مصر ولبنان (Rachidi, 2019).

وفي سياق الحديث عن العولمة وأثرها اللغوي، فإن السودان مثلاً بلد متعدد اللغات واللهجات تهيمن فيه اللغة العربية باللهجة السودانية، ومعظم هذه اللغات بلهجاتها منتشرة في القرى ذات المجموعات السكانية المتجانسة. وبشكل عام، فمع التوسع الحضري وإقبال أهل الأرياف على المناطق الحضرية بحثاً عن فرص عمل، يضطر سكان هذه المجموعات

إلى اعتماد لغة معينة يتشاركونها في أوساط العمل، وغالباً ما تكون الإنجليزية، لغة العولمة اليوم، هي لغة التعايش المشتركة داخل المنازل، لتبدأ معها مرحلة التقهقر اللغوي. وهكذا مع تواتر الأجيال يتلاشى طيف اللغة الأصلية، وتتربع اللغة الإنجليزية أو ما يضاهاها في قاموس لغات العولمة، على عرش اللغات القومية ولهجاتها المتفرعة، وتخبو معها أصالة اللهجة القبلية المحكية (Rachidi, 2019).

يعتبر (وايمان) في سياق تحديد الاستخدام اللغوي بين الأجيال الشابة أن اضمحلال اللغات الأصلية واللهجات يرتبط ببروز اللغات الهجينة. ومع بزوغ الألفية الثالثة، تربعت اللغة الإنجليزية على عرش لغات التواصل المشتركة بين الناس. وتفيد الإحصاءات أن معظم الذين يعيشون في المناطق الحضرية مثل إمارة دبي يتحداثون باللغة الإنجليزية، بينما تتدنّى هذه النسبة في المناطق غير الحضرية (الريفية)، مع الإشارة إلى أن أكثر من 30% من سكان العالم هم من الناطقين الأصليين بها. وأمام هيمنة اللغة الإنجليزية، عمدت بعض الدول العربية إلى مبادرات مختلفة باتجاه تحسين لغتها العربية الفصيحة ولهجاتها المحكية من خلال رزمة من الإجراءات تهدف إلى تقريب الأجيال الشابة، خاصة الحضريين منهم من لغتهم الأم من خلال تشجيع الشباب على استخدام لهجاتهم المحكية بالشكل الكتابي في منصات التواصل الالكترونية (تويتر، فايسبوك وانستغرام). وفي ذلك سلاح ذو حدين، إذ قد تضعيع اللغة المحكية في متاهات لغوية، وتولد أشكال لغوية طارئة وكلمات هجينة تزيد من تباعدهم عن أصالة لغتهم ولهجتهم (Wyman, 2012). وفي الدول العربية اليوم نحو 85 مليون من بين إجمالي 400 مليون شخص يتقنون التحدث بلهجاتهم القبلية، مع غلبة اللغة الإنجليزية أو العربية أحادياً، أو العربية والإنجليزية ثنائياً، أو العربية والقبلية تمازجاً.

أما (هولسن) فيرى في الهجرة عاملاً أساسياً في ضياع ملامح اللهجات القبلية في المناطق الحضرية، حيث أن لغة الأفراد تتفرد بالمجموعات الاجتماعية المحيطة بهم، كذلك بلغة بلدانهم الأصلية والبلدان التي هاجروا إليها. وفي العالم الغربي لو أخذنا هجرة بعض الهولنديين إلى نيوزيلندا مثلاً، نلاحظ بأن الهولنديين المهاجرين انسجموا ثقافياً ولغوياً مع المجتمع النيوزيلندي، وتباعدوا عن لغتهم الهولندية الأصلية، ويعزى مثل هذا التباعد إلى محدودية فرص استخدامهم لغتهم

الأصلية في بلد الهجرة بغياب الأندية الثقافية الخاصة بهم، وعدم رغبة بعضهم في الانتساب إليها إن وُجدت، وأيضاً عدم توفر معاهد اللسانيات لتعليم الهولنديين المهاجرين جذورهم اللغوية (Hulsen 2000).

ومن الهجرة الأوروبية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والتي توطدت فيها جاليات عربية كثيرة عبر الأجيال، أفقدتها خصوصيتها اللغوية. وللهجرة دوافعها، فإما هي سعيّاً وراء رزق أفضل، أو هرباً من حروب مندلعة في بلدانهم الاصلية. ومع انخراط المهاجرين العرب في أوساط العمل الأمريكية، أضحت اللغة الإنجليزية لغتهم ولغة أولادهم الأم في البيت والمدرسة، لتضيق بذلك لهجتهم القبلية المحكية مع مرور الأجيال والازمان. وفي دوائر التفاعل الاجتماعي الجديدة، تتولد لهجات مستحدثة في البيئات الحضرية. وفي الهجرة من الأرياف إلى المدن، تتأثر اللهجات المحكية بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية. ونرى أنه غالباً ما تتخلّى الطبقات الاجتماعية والسياسية الرفيعة في وسط اجتماعي معين عن لهجتها الأصلية (القبلية) وتفضيها استخدام الإنجليزية أو العربية التقليدية كلغة تواصل. والملاحظ أن تكاثر مثل هذه المجموعات الجديدة في الأوساط العربية يؤدي إلى استحداث لهجة هجينة متداولة، حيث تفضل هذه الطبقة الاجتماعية التواصل بطريقة تمايزها عن غيرها، بما يزيد من اندثار لغتها الأصلية المحكية. وهذا ما يؤيده (ميلير) في تباطؤ حركة اللهجات المحلية أمام سطو اللغة الهجينة المستحدثة (Miller, 2007).

ومن جهته، يرى (ميلروي) (Milroy & Milroy -1993) أن التحول في اللهجات الحضرية يأخذ أبعاداً مختلفة حيث تميل المجموعة المهيمنة اجتماعياً إلى التأثير بشكل أكبر على تحديد اختيار اللغة المحكية، وتعزى أسباب ذلك إلى تغير أنماط العلاقات الاجتماعية والبناء الطبقي للمجتمع والنظم والفوارق المجتمعية، وشبكات التعارف والنوع (الذكور أو الإناث). وغالباً ما يكون عامل النوع العامل الاجتماعي الأهم في تحديد المتحورات اللغوية والاجتماعية. وإذا أخذنا بالاعتبار عامل التعليم، نلاحظ أن الفوارق التعليمية في الدول العربية عموماً بين النوعين تجعل المرأة أكثر تمسكاً من الرجل بثقافتها ولغتها ولهجتها الأصلية.

منهجية البحث

اعتمد البحث منهجية ثنائية تجمع بين الأسلوبين الكمي والنوعي من خلال استبيان ومقابلات اتبعت

أسلوب الأسئلة المفتوحة والمغلقة (أسلوب شبه كمي). وقد يكون انتهاج الأسلوب النوعي في المقابلات أكثر صحة، إلا أن انتهاج الأسلوب الكمي يضفي على البحث مصداقية أكبر. وتمحورت الأسئلة بشكل رئيس حول العلاقة بين المدن الحضرية وفقدان اللهجات القبلية. وقد ساعد مزج الأسلوبين في الحصول على فهم أفضل للموضوع وجمع معلومات قيّمة من السكان الأصليين المتحدثين باللهجات القبلية، وفي جعل مخرجات البحث أكثر دقة وتوعاً ومحااجة.

بالنسبة للأسلوب الكمي، تم إجراء مقابلات بواسطة نماذج Google، وهي عبارة عن منصة الكترونية مخصصة لإنشاء الاستبيانات واستطلاعات الرأي. وقد شمل الاستبيان أحد عشر سؤالاً، تنوعت بين أسئلة مغلقة ومفتوحة وتمت مشاركة رابط الاستبيان مع مجموعة من المشاركين من القبائل الثلاث (عَيّنة غير عشوائية). وقد اتجه الاستبيان بشكل خاص إلى الشريحة الشبابية (بين 18 و30 سنة) من الجنسين، مع شموله الشريحة العمرية الأكبر، وذلك لسهولة التواصل مع هذه الفئة عند اللزوم للاستفسار. كما تمت مشاركة رابط الاستبيان مع عدد من الزملاء في جامعة زايد وكليات التقنية العليا وبعض الأصدقاء على مواقع التواصل الاجتماعي واستطلاع رأي أهلهم حول الموضوع، وتم تحديد فترة (8) أيام لإبداء الرأي، وكانت المحصلة (15) رداً.

بالنسبة للأسلوب النوعي، فقد تضمن البحث مقابلتين، إحداها عبر منصة (زوم) الافتراضية، والأخرى وجهاً لوجه، وتمت كتابة الردود (11 سؤالاً) باستخدام ملف (وورد) من دون أي تسجيل صوتي في المقابلتين. والمشاركان في المقابلتين مواطنان إماراتيان، الأول من قبيلة (الشحي) والذي تحدث عن اللهجة الشحية وعائق تداولها بين الشريحة الشبابية، وأما الثاني، فكان من قبيلة (الشامسي)، وكان إضافة إلى البحث بسبب قدرته على التحدث باللهجة القبلية دون أي يكون من (الشحوح).

في التحليل البياني، اعتمد البحث التحليل النصي للمقابلات والأسئلة النوعية الأخرى من خلال التحليل الموضوعي وتحليل المحتوى. بالنسبة للمقابلات، كانت الردود منفصلة مع استخدام الرسوم البيانية والجداول لتوضيح مخرجات البحث للقارئ وتم ربط كل الردود بمواضيعها.

ولا بد من التنويه بأن البحث التزم بمبادئ أخلاقيات البحث العلمي ومحاورها: النزاهة، السرية، الدقة، عدم الإفصاح عن هوية المتحاورين، المساءلة والمسؤولية وخصوصية المتحاورين الذين تم إطلاعهم على جو البحث مقدّماً، وكانت مشاركتهم طوعية. وتم استخدام أسلوب الترميز بالنسبة لأسماء المتحاورين توخياً للخصوصية وتسهيلاً للمرجعية عند تجميع الردود.

مقاصد البحث وفرضياته

الهدف الرئيس من هذه الورقة البحثية هو النظر في العوامل المختلفة التي تساهم في ضياع اللهجة القبلية في المدن الحضرية عبر الأجيال، وفي تأثير التحضر على تكسر اللهجة، وكيفية الحفاظ على اللهجات في إطار التراث في المدن متعددة الثقافات، وقد يكون بعض هذه العوامل بسيطاً أو غير مؤثر، إلا أن مجموع هذه العوامل الصغيرة يساعد كثيراً في فهم الصورة الأكبر ومدى تأثير التحضر على اللهجات من خلال محاولة فهم المتغيرات الاجتماعية والثقافية باتجاه استنباط مسارات تصويبية للحفاظ على خصوصية اللهجات القبلية.

ينظر البحث في حياة ثلاث قبائل إماراتية كما أوردنا سابقاً للوقوف على ردات الفعل المختلفة تجاه ظاهرة التكيف في المجتمع الحضري بحسب الشريحة العمرية. كما يرمي البحث إلى تسليط الضوء على آراء أبناء هذه القبائل كأقلية لسانية في حاضرات مدنية كبيرة مثل أبوظبي ودبي، بينما يشكّلون الأكثرية النسبية في مناطق تواجههم الرئيسة. كما يسوق البحث فرضية تأثير حالة اللاتجانس الاجتماعية وكيفية تعايشهم مع أهل الحضر، إلى جانب دور وسائل الإعلام والمؤسسات التعليمية والعوائل القبلية في تقهقر اللهجات المحكية، وأثر ذلك في الناشئة من أبناء هذه القبائل في البيئات الحضرية. ولا نتجاهل جملة عوامل أخرى تساهم سلباً في تراجع اللهجة المحكية، على رأسها التفكك الجغرافي لأبناء القبيلة واستقرار بعضهم في المناطق الحضرية، بما لهذه المناطق من خصائص مؤثرة تؤدي لتغييب لهجتهم المحكية، خاصة مع تعاقب الأجيال المتكيفة في الأوساط الحضرية، وطريقة تربيتهم وتعليمهم، وكذلك دور التقنيات التعليمية الحديثة في تسريع هذا الانسلاخ اللغوي.

نطاق البحث ومخرجاته

انحصر البحث في نطاق محدود على مستوى التواصل مع أبناء القبائل الثلاث، ناهيك عن صعوبة إجراء المقابلات الشخصية بسبب التدابير المشددة التي فرضتها الجائحة العالمية (كوفيد-19)، مع الإشارة إلى إبداء مجموعة كبيرة منهم رغبتهم في المشاركة. وتوزعت مخرجات البحث في السياقين الكمي والنوعي:

أولاً: - في السياق الكمي، كانت محصلة الردود من الجنسين (15) رداً، (8) إناث 53,3 % و (7) ذكور 46,7 % (أنظر نموذج 1S)، في العقد الثاني من عمرهم (نموذج 2S) وفي تخصصات مختلفة: علوم إنسانية واجتماعية (3)، محاسبة (2)، هندسة (3) نموذج (3S). وتمحورت الأسئلة حول ما يلي:

1- تأييد فكرة اندثار اللهجة المحكية بين الشريحة الشبابية: (5) مؤيدين بنسبة 33,3 % مقابل و (10) بنسبة 66,7 % ترددوا في التأكيد أو النفي (نموذج 4S).

2- تأثير منصات التواصل الاجتماعي: (10) مؤيدين بنسبة 66,7 % مقابل (5) غير مؤيدين 66,7 % (نموذج 5S).

3- تأثير التجانس /اللاتجانس المجتمعي: (10) مؤيدين بنسبة 66,7 % مقابل (5) غير مؤيدين بنسبة 33,3 % (نموذج 6S).

4- دور العوائل القبلية في صون اللهجة المحكية: إجماع عام (نموذج 7S)، مع الإشارة إلى استخدام جميع الردود التوضيحية في السياق النوعي لاحقاً تبعاً للتوصيف في الردود.

ثانياً: - في السياق النوعي: إرتكز البحث على المقابلات والبيانات المجمعّة من المقابلات.

تنوعت آراء معظم المشاركين في أساليب المحافظة على اللهجة القبلية، من مشاركة الأسرة إلى تنظيم الدورات اللغوية الخاصة (نموذج 8S). مع اتفاق المشاركين على تراجع استخدام اللهجة المحكية القبلية ومدى ارتباط هذا التراجع بالمناطق الحضرية (نموذج 9S)، بينما اختلف باقي المشاركين حول حقيقة تراجع استخدام اللهجات القبلية، مع اتفاقهم

العام على الدور الهام للتنشئة في المحافظة على اللهجة القبلية من خلال ردود موجزة.

تمحورت المقابلات حول أربعة مواضيع هي: اللاتجانس الاجتماعي، وسائل الإعلام الحديثة، دور التعليم، ودور العوائل في التوعية.

في محور اللاتجانس الاجتماعي، يرى (الشامسي) أن حالة اللاتجانس الاجتماعي تؤثر في الأجيال الناشئة في تمايزها عن الغير، وتكون النتيجة إمكانية التعرض للتنمر في أطوار العمر الصغيرة. ولكنه يوافق الرأي على أن استخدام لهجة الأقليات يؤثر كثيراً في فهم الغير لهجته لعدم تألفهم على سماعها. بالنسبة لعامل العمر، يؤكد (الشامسي) الدور الهام للشريحة العمرية في التعاطي اللغوي. فهو على الرغم من أنه نشأ في إمارة أبو ظبي، إلا أنه لم يعمل على اتقان لهجته المحكية كما أجداده القاطنين في إمارة رأس الخيمة والمحافظين على لهجتهم الأصلية، مع تسليمه بدور المدينة المهاجر إليها ومستويات التحضر فيها (نموذج 2V&1).

وعلى مستوى المحور نفسه، يرى (الشحي) بأن اللغة القبلية تشهد تمازجاً مع اللهجة المحكية الطاغية في المدينة بسبب التنوع السكاني. وبالنسبة لمحور وسائل التواصل الاجتماعي، يبدي (الشحي) ارتياحاً ولكنه لا يلمس تراجع استخدام اللهجة القبلية بين أهل قبيلته في رأس الخيمة، بل فقط في أبوظبي الحاضرة المدنية (نموذج 2V&1).

وعن تأثير منصات التواصل الاجتماعي، ينفي (الشامسي) بأن هذه المنصات تؤثر في تغير اللهجة المحكية، فهي اللغة الأم التي لا يمكن فقدانها. ويخالفه في الرأي (الشحي) الذي لا يرى مفراً من تغلغل الألفاظ الحضرية في اللهجة القبلية المهاجرة (نموذج 2V&1).

أما عن تأثير المؤسسات التعليمية، فللعائلة برأي (الشامسي) دور جوهري في غرس اللهجة المحكية في نفوس صغارها، لأن اللغة تُكتسب بالفطرة، بينما يعزوها (الشحي) لطرق التنشئة العائلية، مقيماً المقارنة مع ابن أخيه وغلبة اللغة الإنجليزية على لسانه (نموذج 2V&1).

وعن دور الأسرة التقليدي، يوضح (الشامسي) بأن بعض الآباء يتجاهلون لهجتهم التقليدية، فيحذو الأبناء حذوهم، وهو ما لا يوافق عليه (الشحي) الذي يعتبر بأن اللهجة القبلية تُتناقل عُرفاً وتقليداً في العائلة، ولكن الأدوار باتت معكوسة اليوم مع تسليم هذا الدور للمدرسة (نموذج 2V&1).

المناقشة البحثية

تؤثر العولمة في نمط حياة السكان واستخدام اللهجات القبلية بوضوح في المناطق الحضرية وغير الحضرية، وبالتالي فإن حالة اللاتجانس الاجتماعي تكاد تتقارب في مستويات انتشارها بين المناطق الحضرية وغير الحضرية. وفي هذا السياق، يشدد أحد المشاركين على أهمية اتباع المتحدثين باللهجات القبلية المحكية لهجة الأغلبية وهو ما يذكره (وايلدر) في مقاله بعنوان “بيئة عيش الأفراد تحدد لغتهم” (Wilder, 2016). وفي هذا مدلول جلي على تأثير الأثرية على الأقلية، كما هو الحال بالنسبة للتجمعات القبلية في المناطق الحضرية، فضلاً عن التعددية الثقافية، والتي قد تفضي إلى لغوية جديدة مكتسبة.

كما أن الشريحة العمرية عامل يطبع الأفراد في المجتمعات اللامتجانسة، في عدم انسجام الشريحة العمرية الفتية مع الشريحة العمرية الأكبر سناً، بما يجعلهم لا يتألفون بشكل سهل مع النمط اللغوي الدخيل الذي يفرضه واقع حال التمازج الحضري، يصل إلى حد شعورهم بالخجل من المجاهرة بألفاظهم القبلية “الناشزة” في المجتمعات الحضرية، حيث يميل بعض الأهل إلى عكس هذه التجارب والمشاعر على أولادهم لتشكيل حاجز لغوي لإبعادهم عن “اغراءات” تهجين لهجتهم ومفرداتها.

على مستوى العائلة والمؤسسات، يلاحظ تراجع الدور التقليدي للعائلة بسبب نمط الحياة الجديد، حيث يُجمع المشاركون في الاستبيان على تراجع تعلّم أولاد العوائل التقليدية المتقدمة في المناطق الحضرية لهجاتهم المحكية القبلية، وحلول المؤسسات التعليمية محل الأدوار العائلية التقليدية في المناطق الحضرية بما يؤثر على تعلّم اللهجة القبلية المحكية. فالأولاد في المدارس يتعلمون رسمياً اللغات الأجنبية كالإنجليزية وغيرها من لغات العولمة، بما يسهّل تكيفهم مع هذه اللغات الرسمية في البيئة التربوية

المتواجدة في مجتمع لاتجاسي، وابتعادهم بفعل حالة اللاتجانس هذه عن لهجاتهم القبلية، وفي هذا تأكيد على مدى تأثير نمط الحياة والمؤسسات الحضرية في فقدان اللهجات المحكية القبلية.

وعلى صعيد وسائل التواصل الاجتماعي، للتكنولوجيا تأثير هائل على شباب اليوم. ففي الدول العربية يتعلم الشباب لغات أخرى إلى جانب لغتهم الأصلية لمواكبة عولمة التكنولوجيا المعاصرة مع تركيزهم على تعلم السائد منها واعتبارها اللغة البديهيّة في التواصل على منصات التواصل الاجتماعي بما يؤدي إلى غياب اللهجة القبلية، ويخلق فجوة بين جمهور مستخدميها ويدفعهم إلى ابتكار نمط لغوي هجين للتحادث. واللافت كان أحد الردود الذي ربط الأمر بقابلية الفرد في استخدام لهجته القبلية أو الابتعاد عنها، كما يُستشف ذلك في اختلاف موقفي (الشحي) و (الشامسي) من الموضوع.

ولا بد من التنويه بتفاوت الاندماج في المدن الحضرية بين المجموعات السكانية المتجانسة، كما هو حال هذه المجموعات في إمارة رأس الخيمة حيث اللهجة القبلية أقوى بشكل واضح وأكثر انتشاراً في أوساط أبناء مجتمعتها المتجانس، وبالتالي، يتضح جلياً بأن فقدان اللهجة القبلية مرتبط بظاهرة التحضر في هذه المدن.

الخاتمة

الحضرية وشتات اللهجات القبلية في ظل العولمة. حضرية ذات حددين، بين توسع عمراني رفاهي ومجتمع تتقاطع فيه لغات وثقافات ولهجات مستحدثة تفرض أنماطاً هجينة على لهجاتنا القبلية، لسان تراثنا، وما تحمله من خاصيات أهلها وجماليات لفظية.

تحديات كثيرة تواجه الشباب في اتقان لهجاتهم القبلية تقتضي وعياً شمولياً للمجتمع، بحضرته وقبليته، من أجل استدراك القيمة التراثية لهذه اللكنات المتفردة وتنظيم مبادرات تربوية جادة لصون هذه الكنوز اللسانية التراثية الآخذة بالانصهار في بوتقة لهجات بيضاء.



المراجع البحثية

- Benjamin T. Wilder, Carolyn O'Meara, Laurie Monti, Gary Paul Nabhan, The Importance of Indigenous Knowledge in Curbing the Loss of Language and Biodiversity, BioScience, Volume 66, Issue 6, 1 June 2016, Pages 499–509, <https://doi.org/10.1093/biosci/biw026>
- Hulsen, M. E. H. (2000). Language loss and language processing: Three generations of Dutch migrants in New Zealand. [Sl: sn].
- Miller, C. (2007). Arabic urban vernaculars: development and change. In Arabic in the City (pp. 15-46). Routledge.
- Milroy, J., & Milroy, L. (1993). Mechanisms of change in urban dialects: the role of class, social network, and gender. International Journal of Applied Linguistics, 3(1), 57-77.
- Rachidi, S. (2019). Getting the Final Word: Endangered Languages in the Arab World; Inside Arabia, Voice of the Arab People
- The World Bank Urban Development. (n.d.). Retrieved November 29, 2020, from <https://data.worldbank.org/topic/urban-development?locations=AE>
- Wirth, L. (1970, July 01). Urbanism as a Way of Life. Retrieved November 29, 2020, from <https://www.journals.uchicago.edu/doi/10.1086/217913>
- Wyman, L. (2012). Youth culture, language endangerment, and linguistic survivance. Multilingual Matters.



الدخون العربي وتأثيره على جودة الهواء في الأماكن المغلقة

دانة طارق العفيفي

مقدّمة

ينظر البحث في الأضرار التي يسببها إحراق الدخون على جودة الهواء النقي في الأماكن المغلقة، حيث يُعد استخدامه في الأجواء الحبيسة من العادات المنتشرة بشكل لافت في منطقتي الشرق الأوسط والخليج العربي. وعلى الرغم من طيب رائحته إلا أننا نفتقر إلى الدراسات الدقيقة التي تتحدث عن تركيبته الكيميائية. وهذا ما يسعى البحث إلى تفصيله من خلال التركيز على نوعين من الدخون العربي أو البخور بلفظه الشائع، هما (المعمول) و(العود النقي) واللذين قمنا بتجربة إحراقهما في المبخرة العربية التقليدية تحقيقاً للمقاصد العلمية، إضافة إلى تجربة استخدام المبخرة الإلكترونية للمعمول وحده. واعتمد الاختبار على مستشعر جراي وولف (Graywolf Sensing)، وهو جهاز متطور يقيس مستويات جودة الهواء والغازات المنبعثة عند الاحتراق وهي: أول أكسيد الكربون، ثاني أول أكسيد الكربون، وأكسيد النيتروجين، ثاني أكسيد النيتروجين، والأوزون الأرضي (CO , CO_2 , NO , NO_2 , O_3)، بالإضافة إلى المركّبات العضوية المتطايرة (TVOCs). كما جرى تحديد التوصيفات الكيميائية في درجة حرارة الغرفة (21 درجة مئوية) في رطوبة نسبية قدرها 50 %. وفي جميع العيّينات المستخدمة من نوعي البخور، بلغت تراكيز ثاني أكسيد النيتروجين (NO) والأوزون الأرضي (O_3) جزءاً في المليون (ppm 0).

كما استُخدم مطياف الأشعة السينية (XRF) لتحديد تراكيز بعض المعادن الثقيلة مثل الباريوم والكروم والكاديوم والرصاص والفضة والزنك والسيليونيوم قبل مرحلة الاحتراق وبعدها. وساعدت تقنية التحليل الحراري الوزني (TGA) في تحديد نقاوة وتكوين الغازات من خلال مراقبة تغير وزنها أثناء تسخين العينة لتقييم نسبة استقرارها الحراري وتحديد جزء المكوّنات المتطايرة ونسبة الرماد. وكانت النتيجة اكتشاف العديد من العناصر والمركّبات والتي يُعتبر الكثير منها ضاراً بالصحة. ويقودنا هذا الاختبار إلى الاستنتاج بأن الدخون العربي يحتوي على مجموعة واسعة من المعادن والمركّبات الكيميائية التي تشكّل خطراً داهماً على صحة الإنسان والبيئة بسبب التلوث الكبير الذي يحدثه في الغلاف الجوي الداخلي عند احتراقه، وأن استخدام المبخرة الإلكترونية أقل ضرراً على البيئة من المبخرة المحمولة التي تعتمد على إحراق الفحم.

كما أن إحراق الدخون ممارسة شائعة داخل المنازل في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي، وأحد مكوّنات التراث (Elsayed, Dalibalt, Gomes, Fernands & Alqtaishat, 2014).

وللبخور استخدامات مختلفة، من طرد الأرواح الشريرة إلى طرد الروائح الكريهة وإضفاء أجواء زكية في البيئة المحيطة. تتنوع تركيبات البخور من المواد الطبيعية المنقوعة في زيوت عطرية، مثل العود، سحال العود، المسك وخشب الصندل، والتي تُمزج وتُشكّل في قوالب صغيرة تطلق رائحة طيبة عند إحراقها باستخدام الفحم أو الغاز أو المحارق الإلكترونية (Elsayed, Dalibalt, Gomes, Fernands & Alqtaishat, 2014).

يدخل (البخور) أو الدخون على نطاق واسع في صناعة العطور وتجاريتها وفي تعطير الملابس والعديد من الاحتفالات العامة والدينية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأنواعه عديدة. فبعض البخور عبارة عن أعواد رفيعة يتم استخدامها في ممارسة بعض الطقوس الدينية ترتقي بروحانية المكان. كما تدخل في تركيبته رقائق الخشب ومكوّنات أخرى. (Elsayed, Dalibalt, Gomes, Fernands & Alqtaishat, 2014).

كذلك تُستخدم أعواد البخور لتجديد رائحة الأماكن المغلقة والاستنشاق، وأيضاً في رياضة التأمل باعتبارها عاملاً فاعلاً ينعش العقل والجسم معاً، فضلاً عن استخداماته لأغراض مختلفة (Yadav et al., 2020). ومن هنا، يهدف هذا البحث إلى التعريف بأضرار الدخون العربي في الأماكن المغلقة وتأثيره على صحة الإنسان والبيئة.

المراجعة الأدبية

لحظت دراسة هندية (Yadav et al., 2020) أن للبخور العربي أنواعاً مختلفة من مواد طبيعية تستخدم لأغراض التعطير وتلطيف الأجواء الداخلية في البيئات المغلقة. يتكون البخور من مكوّنات طبيعية، قوامها العنبر والياسمين والعود والمسك وما إلى ذلك. البخور أو البخور لفظ عربي يطلق على رقائق الخشب المنقوعة في زيوت عطرية لتوليد روائح قوّاحة. وهو شائع الاستخدام عالمياً في أكثر من 160 دولة (Yadav et al. 2020). والبخور عنوان الطيب الإماراتي والخليجي، ومكوّن تراثي متجذر في طقوس المجتمع، وعنصر مهم في عصب التجارة.

وتأتي دراسة (Fentress, 2020) لتؤكد بأن دور البخور لا يقتصر على ما يحمله من روائح زكية فحسب، بل له مزايا علاجية وتأثير كبير على الصحة الجسدية والعقلية. وتعتبر الدراسة أن إحراق البخور من الممارسات التقليدية الشائعة في المنطقة العربية

حيث تحتوي هذه المواد على عدد كبير من المركّبات التي من شأنها حفظ مستويات الطاقة الروحية خاصة خلال ممارسة رياضة اليوجا، ناهيك عن استخداماته في أدوية الأيورفيدا (Fentress, 2020).

وللبخور وجهه الآخر، ومضاره كثيرة، حيث أن الإكثار من استنشاقه يزيد من مخاطر الإصابة بأمراض الرئة وضيق التنفس. وهو بحسب دراسة (Rana, 2018) مهيج مستفز لمرضى الربو، والتعرض اليومي الطويل له في الأماكن المغلقة قد يؤدي إلى تلف الرئتين وضعف الجهاز التنفسي بشكل عام، كما أنه عامل مؤثر في ارتفاع عدد الوفيات الناجمة عن أمراض القلب والأوعية الدموية والأمراض السرطانية وذلك بسبب انحباس هذه الانبعاثات وعدم وجود منفذ خارجي يسمح بتسرّبها.

والواقع أن المراجع والمجلات العلمية وفرت مساحة بيانية هامة حول هذا الموضوع، إلا أنه تندر المقالات والأبحاث التي تتناول تأثير الدخون الإيجابي في تعزيز مستويات جودة الهواء في الأماكن المغلقة التي يتواجد فيها أشخاص يعانون من أمراض الربو أو ضيق التنفس عند التعرض لروائح المنبعثة لفترات طويلة. وفي هذا الاتجاه، سعت دراسة (Rana, 2018) إلى معالجة هذا الموضوع والبحث عن طرق كفيلة للتخفيف من أضرار البخور في هذه الأماكن من خلال العمل على إنتاج أنواع معينة منه غير مؤذية للصحة.

المواد المستخدمة وطرق الاختبار

ركّز البحث على دراسة محورين أساسيين: أولاً- مدى تأثير البخور على جودة الهواء في الأماكن المغلقة، وثانياً، تركيبة الدخون، وتأثير أنواع الدخون على مستويات هذه الجودة.

ورق القصدير

استُخدم ورق القصدير لتغليف صفيحة المبخرة أثناء احتراق البخور، حيث أن البخور يحترق تلقائياً وبشكل كامل بمجرد وضعه في المبخرة، وهو بمثابة الحاجز بين الصفيحة الساخنة وقطع البخور.

النسبة الوزنية للرماد المتبقي

تم تحليل تركيبة الرماد المتبقي بعد إحراق البخور بواسطة مطياف الأشعة السينية.

عينات البخور

استُخدمت في هذه الدراسة عيّنتان من البخور هما المعمول والعود النقي، وتم إحراقهما في المبخرة التقليدية، واستخدمت المبخرة الإلكترونية لإحراق المعمول وحده.

الفحم

استُخدمت المبخرة التقليدية التي تعتمد على الفحم في عملية الإحراق.

المبخرة الإلكترونية

المبخرة الإلكترونية عبارة عن مبخرة خاصة مزودة بمكبس لضبط درجة الحرارة والوقت المطلوب للاحتراق، ولا تتطلب استخدام الفحم. وفي الاختبار، تم استخدام المبخرة الإلكترونية مع بخور المعمول لرصد عملية الاحتراق ومقارنتها بالمبخرة التقليدية.

الولاعة

تم استخدام الولاعة في عملية الإحراق.

مستشعر جودة الهواء- جراي وولف

عبارة عن جهاز متطور يقوم بقياس مستويات جودة الهواء. تم تجميع الغازات المنبعثة من الاختبارات الثلاثة لكل نوع من الدخون من خلال هذا الجهاز، وهي أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، أكسيد النيتروجين، ثاني أكسيد النيتروجين، والأوزون الأرضي والمركّبات العضوية المتطايرة.

المبخرة

تم إحراق البخور مباشرة فوق صفيحة المبخرة الساخنة بواسطة الولاعة خاصة لإطلاق الروائح العطرية.

التحليل الحراري الوزني

خلال الاختبار، تم تعريض عينة من 12 مجم من البخور لدرجة حرارة بين 30 و 700 درجة مئوية بمعدل تسخين 30 درجة مئوية في الدقيقة. يتيح هذ التحليل برمجة نسبة تطاير البخور باستخدام جهاز التحليل الخاص.

في تعريف مبسّط، تم وزن عينة البخور خلال هذا التحليل في الوقت في حال الإحراق، مما أدّى إلى حدوث تفاعلات كيميائية وتكوين منتجات ثانوية غازية. ومن ثم التخلص من هذه المنتجات الثانوية الغازية في التحليل الحراري الوزني، وتسجيل الاختلافات الوزنية في الكتلة المتبقية من العينة.

جهاز التوقيت

خلال الاختبار، تم استخدام جهاز توقيت لقياس الفترات الزمنية. وخضع نوعا البخور لاختبارات ثلاثة على مدى ساعتين، بمقدار 1 جرام لكل نوع، وتم تسجيل النتائج قبل الإحراق ومباشرة بعده في فترات زمنية متباعدة (10 ثوان، 5 دقائق، 30 دقيقة، ساعة وساعتين).

الميزان

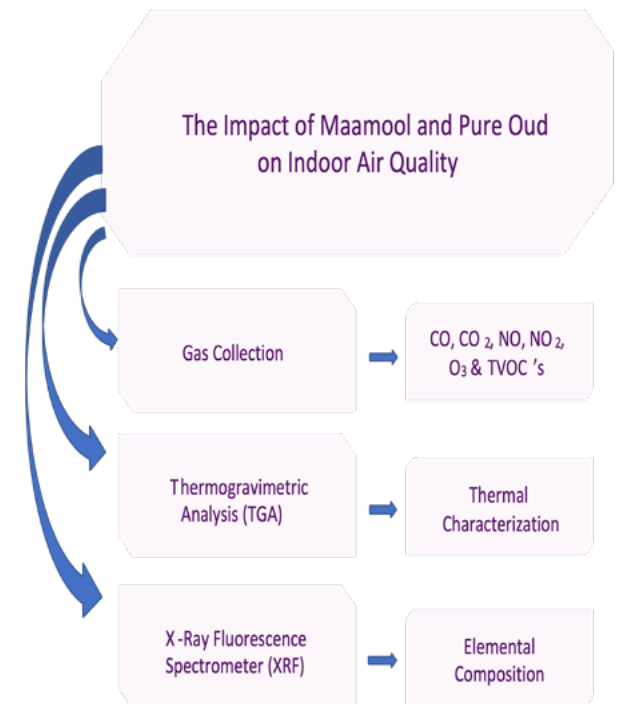
تعتبر الموازين العلمية من أهم قطع الأجهزة المعملية لتحديد وزن أو كتلة العينة. وهكذا، تم وزن 1 جرام من كل نوع من أنواع البخور باستخدام ميزان خاص.

مطياف الأشعة السينية

تم استخدام مطياف الأشعة السينية قبل وبعد كل تجربة لتحديد النسبة الكيميائية للعينة عن طريق قياس الأشعة السينية الفلورية (أو الثانوية) المنبعثة منها بعد تحفيزها. ويبين التحليل احتواء العينة على معادن الباريوم والكروميوم، والكاديوميوم، الرصاص، الفضة، السيليونيوم، الزئبق والزرنيخ.

مخطط البحث

الشكل 1: إطار عمل المعمول والعود النقي وتأثيرهما على جودة الهواء في الأماكن المغلقة



نتائج الاختبارات

تم إجراء جميع التوصيفات في درجة حرارة الغرفة (21 درجة مئوية) وبنسبة 50 % رطوبة. بلغت تركيزات أكسيد النيتروجين والأوزون الأرضي جزءاً في المليون في جميع العينات والتجارب.

الجدول 1: تجميع الغاز في المعمول

لوحظ احتواء ثاني أكسيد الكربون في الجدول 1 على أعلى نسبة تركيز بين جميع الغازات. في الواقع، كان الانحراف المعياري منخفضاً نسبياً في معظم الاختبارات، كما لوحظ ارتفاع مستويات أول أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون فور الاحتراق (10 ثوان) في الاختبار الثاني. وكانت مستويات ثاني أكسيد النيتروجين والمرتبات العضوية المتطايرة وثاني أكسيد الكربون تتزايد بمرور الوقت مع تسجيل تناقص أول أكسيد الكربون.

Time (seconds)	CO						CO ₂					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	2.2	2.2	4.3	3.2	4.4	2.2	219	207	400	402	407	407
Trial 2	5.7	2.9	9.7	7.6	4.1	3.6	425	1040	504	504	504	530
Trial 3	3.4	4	8.7	7.7	4.2	2.2	341	344	313	424	394	500
Average	3.4	3.0	7.6	6.7	4.2	2.6	360.3	1077.4	407.4	435.3	438.3	480.7
Standard Deviation	0.4	0.6	2.9	1.2	0.2	0.3	103.6	400.6	19.3	95.9	100.5	45.9

Time (seconds)	NO _x						TVOC					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	0.4	0.4	0.6	1.3	0.6	1.4	0.09	0.09	0.3	0.22	0.26	0.24
Trial 2	0.2	0.3	0.2	1.6	1.6	1.6	0.09	0.09	0.09	0.11	0.10	0.20
Trial 3	0.3	0.1	0.1	0.4	0.7	0.7	0.09	0.09	0.09	0.11	0.11	0.13
Average	0.3	0.3	0.4	1.1	1.4	1.7	0.1	0.1	0.1	0.1	0.2	0.3
Standard Deviation	0.2	0.2	0.3	0.6	0.6	0.5	0.0	0.0	0.0	0.1	0.1	0.1

الجدول 2: تجميع الغاز في المعمول باستخدام مبخرة إلكترونية

تم تجميع الغازات في المعمول في الجدول 2 باستخدام مبخرة إلكترونية حيث تم تسجيل مستوى أدنى من مستوى من أكسيد النيتروجين والمرتبات العضوية المتطايرة عند مقارنته بالمعمول المحترق بالفحم. كما لوحظت زيادة المرتبات العضوية المتطايرة وثاني أكسيد الكربون بمرور الوقت.

Time (seconds)	CO						CO ₂					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	2.3	2.3	2.7	2.4	2	1.9	397	402	446	493	492	446
Trial 2	2.6	2.3	2.6	2.3	2.1	1.9	286	309	340	393	438	467
Trial 3	1.8	2	2.1	2.9	3.1	1.9	444	477	502	536	620	582
Average	2.1	2.2	2.3	2.5	2.4	1.9	375.7	399.3	439.0	489.3	516.7	496.3
Standard Deviation	0.3	0.2	0.3	0.6	0.6	0.3	81.3	84.7	64.9	81.3	93.5	75.4

Time (seconds)	NO _x						TVOC					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	0.3	0.1	0	0	0.2	0.6	0.09	0.09	0.09	0.11	0.11	0.24
Trial 2	0.1	0.1	0.1	0.2	0.4	0.7	0.09	0.09	0.09	0.1	0.12	0.17
Trial 3	0.6	0.3	0.4	0.1	0.2	0.5	0.08	0.08	0.08	0.1	0.11	0.17
Average	0.3	0.2	0.2	0.1	0.3	0.6	0.1	0.1	0.1	0.1	0.1	0.2
Standard Deviation	0.3	0.2	0.2	0.1	0.1	0.1	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0	0.0

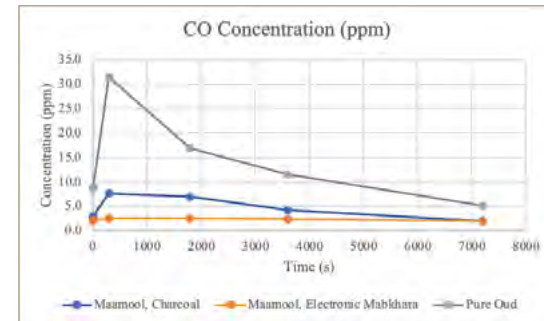
الجدول 3: تجميع الغاز من العود النقي

تبين أن العود النقي في الجدول 3 يحتوي على مستوى أعلى من أول أكسيد الكربون مقارنة بالمعمول باستخدام مبخرة الفحم وعند مقارنته بنتائج المبخرة الإلكترونية. كما لوحظ أن مستويات ثاني أكسيد الكربون وثاني أكسيد الكربون النيتروجين والمرتبات العضوية المتطايرة كانت ترتفع بمرور الوقت في حين كان أول أكسيد الكربون يتناقص تدريجياً.

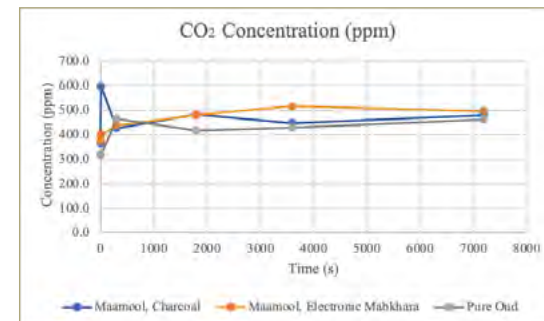
Time (seconds)	CO						CO ₂					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	17.6	17.6	44.1	33.4	25.1	19.2	372	339	405	417	497	405
Trial 2	4	5.3	18.3	8.5	4.9	2.9	291	290	354	392	393	440
Trial 3	3.9	3.3	31.9	8.7	4.5	2.1	291	296	348	447	401	441
Average	3.6	3.8	31.4	14.9	11.2	5.1	318.3	313.0	405.7	417.3	429.7	403.3
Standard Deviation	0.0	0.0	12.6	14.3	11.4	4.5	47.3	34.4	106.3	27.8	14.5	14.4

Time (seconds)	NO _x						TVOC					
	0	10	100	1000	10000	7200	0	10	100	1000	10000	7200
Trial 1	0.4	0.4	0.6	1.3	0.6	1.4	0.09	0.09	0.3	0.22	0.26	0.24
Trial 2	0.2	0.3	0.2	1.6	1.6	1.6	0.09	0.09	0.09	0.11	0.10	0.20
Trial 3	0.3	0.1	0.1	0.4	0.7	0.7	0.09	0.09	0.09	0.11	0.11	0.13
Average	0.3	0.3	0.4	1.1	1.4	1.7	0.1	0.1	0.1	0.1	0.2	0.3
Standard Deviation	0.2	0.2	0.3	0.6	0.6	0.5	0.0	0.0	0.0	0.1	0.1	0.1

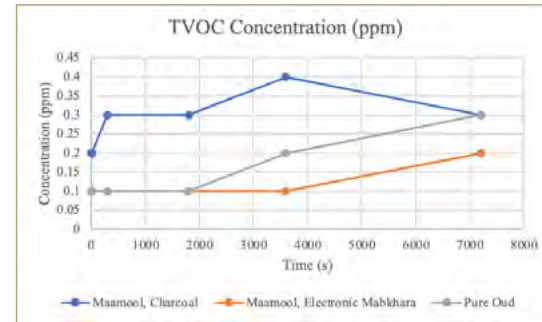
الرسم البياني 1: تركيز غاز أول أكسيد الكربون يظهر في الرسم البياني 1 أن العود النقي يحتوي على أعلى تركيز لأول أكسيد الكربون



الرسم البياني 2: تركيز غاز ثاني أكسيد الكربون في الرسم البياني 2، كانت لجميع العينات تركيزات متشابهة من ثاني أكسيد الكربون، ومع ذلك، تم إحراق المعمول باستخدام المبخرة الإلكترونية التي احتوت على أعلى تركيز لثاني أكسيد الكربون

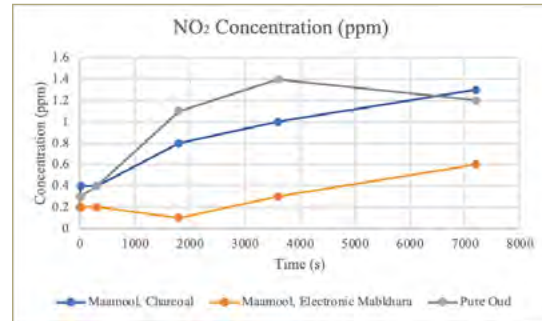


الرسم البياني 3: تركيز غاز ثاني أكسيد النيتروجين في الرسم البياني 3، كان تركيز ثاني أكسيد النيتروجين أقل عند إحراق المعمول بمبخرة إلكترونية



الرسم البياني 4: تركيز الغاز في المرتبات العضوية المتطايرة

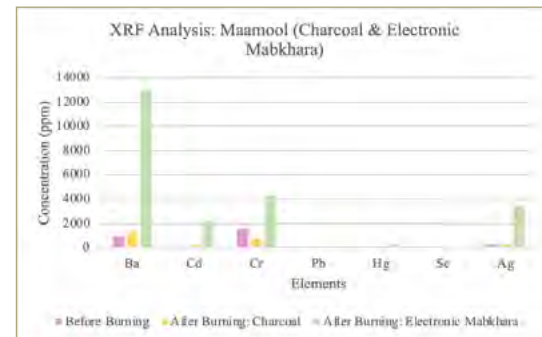
في الرسم البياني 4، يمكن ملاحظة أن تركيز المرتبات العضوية المتطايرة كان أكبر عند إحراق المعمول بالفحم.



ثانياً- مطياف الأشعة السينية

الرسم البياني 5: تحليل مطياف الأشعة السينية للمعمول المحروق بالفحم والمعمول المحروق باستخدام مبخرة إلكترونية

بالمقارنة مع المعادن الثقيلة الأخرى، يحتوي المعمول كما هو موضح في الرسم البياني 5 على تركيز كبير من معدني الباريوم والكروميوم. من ناحية أخرى، لم يتم الكشف عن مستوى معدني الرصاص والسيليونيوم. كما تم اختبار المعمول المحروق باستخدام مبخرة إلكترونية حيث تبين احتوائه على معادن ثقيلة أعلى بعد الاحتراق مقارنة بالمعمول الذي تم اختباره باستخدام مبخرة الفحم العادية. وهذا يدل على أنه أثناء استخدام المبخرة الإلكترونية تم إطلاق كميات أقل من المعادن الثقيلة في البيئة المغلقة نتيجة الدخان المنبعث.

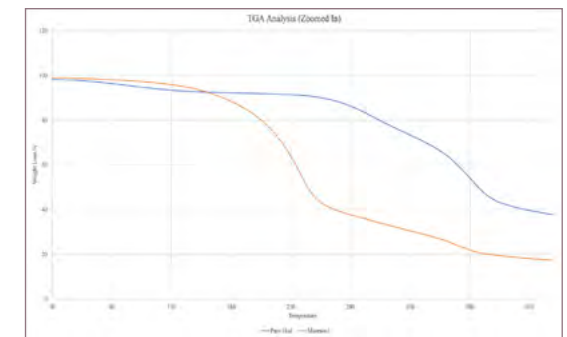


الرسم البياني 6: تحليل XRF للعود النقي في الرسم البياني 6، تبين أن العود النقي ينتج كمية كبيرة من المعادن الثقيلة في البيئة المغلقة عند إحراقه. وكما هو موضح احتوى العود النقي على عدد أقل من المعادن الثقيلة بعد احتراقه وهذا يعني أنه تم احتراق المعادن الثقيلة في الغلاف الجوي أثناء إجراء الاختبار.



ثالثاً - التحليل الحراري الوزني الرسم البياني 7:

التحليل الحراري الوزن للمعمول والعود النقي في الرسم البياني 7، يمكن الإشارة إلى احتواء العود النقي على نسبة رماد أعلى من المعمول.



المناقشة البحثية

سيّد الروائح في البيت الإماراتي وفي التراث العربي. أدواته مبخرة تقليدية وبعض من فحم يذوب في قلبها ليفوح شذى يزكي الأنوف والنفوس ويسكن بعبقه حوائط المكان؛ مكوّناته توليفات عطرية تتغلغل في المفروش والملبس، يسبح على هواه في فضاء محبوس. تتنقّسه طيباً ودخاناً نافثاً.. لذا كان الغوص في هذا البحث لتبيان الأثر الضار للبخور على نقاوة الهواء وجودته في الأماكن المغلقة من خلال اختبارات ثلاثة تهدف لاستكشاف تفاعل (المعمول) و (العود النقي) من الدخون

المحروق في كلا المبخرتين التقليدية والإلكترونية. ولإيجاز التجربة، تم تجميع وتحليل الغازات المنبعثة من الدخون عند احتراقه بأداة خاصة (مستشعر جراي وولف)، وهي: أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، الأوزون الأرضي، أكسيد النيتروجين وثاني أكسيد النيتروجين بالإضافة إلى المركّبات العضوية المتطايرة. وتبع هذا الاختبار تحليل علمي لنوعيّ الدخون لاستكشاف التفاعلات الكيميائية للانبعاثات الغازية بين المبخرتين. وبنتيجة التحليل، تبين أن دخان البخور لم يكن له أي تأثير على مستويات غاز الأوزون الأرضي وأكسيد النيتروجين في أي من العينات. كما أفضت النتائج إلى أن مستوى ثاني أكسيد الكربون كان أعلى في المعمول قبل الاحتراق منه في العود النقي، وهذا أمر بديهي حيث أن المعمول يحتوي على مواد كيميائية يعكس العود النقي، بينما تقاربت نتائج ثاني أكسيد النيتروجين في المعمول والعود النقي.

خلال عملية الاحتراق لوحظ أن التركيز الفعلي للمعمول لم ينخفض كثيراً عند استخدام المبخرة الإلكترونية حيث بلغ متوسطه 2.1 جزءاً في المليون قبل أن ينخفض إلى 1.9 جزءاً منه بعد عملية الاحتراق. وهذا يسوقنا إلى التأكيد بأن استخدام الفحم في المبخرة الإلكترونية له تأثير كبير على جودة الهواء وصحة الإنسان. وتوخياً لأدق النتائج تم استخدام مستشعر جودة الهواء ومقياس طيف الأشعة السينية وتحليل التحليل الحراري الوزني. ومطيف الأشعة السينية هو تقنية تحليلية تستخدم لتحديد التركيب الأولي للمواد مثل الصخور والمعادن والرواسب والسوائل (Wirth, 2020). كما تم قياس البخور باستخدام مطيف الأشعة السينية قبل وعقب كل اختبار.

قام مطيف الأشعة السينية برصد انبعاث معادن الباريوم والكروم والكادميوم والرصاص والفضة والسيلينيوم والزنبق والزرنيخ، واحتوى المعمول الذي تم حرقه بالفحم في مبخرة تقليدية على نسبة أقل من المعادن الثقيلة منه في المعمول الذي تم إحراقه في المبخرة الإلكترونية. ونستدل بذلك أن الفحم عند احتراقه في المبخرة التقليدية يطلق معادن ثقيلة في الغلاف البيئي الحبيس أكثر منه في المبخرة الإلكترونية، وبالتالي، فإن المبخرة الإلكترونية هي البديل الأفضل في الاستخدام. كما نستدل من خلال الاختبارات الثلاثة على وجود عناصر سامة مثل الرصاص والزنبق والكادميوم ومجموعة متنوعة من المعادن

الثقيلة الأخرى في العينات من الدخون والتي قد تضر الجهازين العصبي والتنفسي وتؤثر في مناعة الجسم (Cadmiun,n,d). تبين على سبيل المثال احتواء العود النقي على كمية كبيرة من الباريوم نحو 20,000 جزء في المليون، والتي انخفضت إلى حوالي 1,500 جزء في المليون بعد عملية الاحتراق. وهذا يعني أنه تم انبعاث ما يقرب من 18,500 جزء في المليون من الباريوم في الغلاف الجوي المغلق. في الواقع، إن تنفس هذه الكميات من الباريوم قد يتسبب في حدوث مشاكل في الجهاز الهضمي كالتقيؤ وضيق التنفس، وارتفاع ضغط الدم والإسهال (Centers for Disease Control and Prevention, 2018). كما قد يؤثر الفحم في كمية الغازات والمعادن الثقيلة المنبعثة. وفي الاختبارات الثلاثة تم استخدام الفحم المطلي بطلاء فضي لتسريع إطلاق رائحة الدخون (Magic Cola, n.d.).

وقد يكون لهذا الطلاء تأثير مباشر في نسبة انبعاث الغازات بما يقودنا إلى الاستنتاج بأن الفحم له تأثير على عدد الغازات والمعادن الثقيلة المنبعثة في أرجاء المكان المغلق. كما ارتكزت الاختبارات إلى التحليل الحراري الوزني حيث تم وزن العينة من المعمول والعود النقي أثناء تسخينهما بما أحدث تفاعلات كيميائية وتكوين منتجات ثانوية غازية تم التخلص منها في التحليل الحراري الوزني، مع تسجيل الاختلافات في الكتلة المتبقية للعينة (Garcia-Herrera & Price, 2020).

والملاحظ فقدان كل من العود النقي والمعمول نسبة 100% من وزنهما في التحليل الحراري الوزني، مع تسجيل مستوى أعلى من الرماد في العود النقي، وفي هذه التحليل إشارة إلى أن المعمول قابل للتبخّر، بعكس العود النقي الذي لم يتبدد سوى بنسبة بسيطة من جزيئاته. وخلصت النتيجة إلى احتواء الدخون العربي على نسبة أعلى من المعادن والتي تؤثر كثيراً في جودة الهواء في الأماكن المغلقة وأيضاً مركّبات كيميائية تشكّل خطراً مباشراً على صحة الإنسان والبيئة المغلقة.

الخاتمة

يعتبر مؤشر جودة الهواء في عالمنا المتلّون بأطيايف التلوث مفتاح الصحة السليمة والبيئة النظيفة. ولا تكاد تخلو منطقة على وجه المعمورة لا يهددها هذا السلاح الفتاك المخفي في عقر بيئاتها الداخلية.

وبين متلوثات الأمس التقليدية ومتلوثات العصر بون شاسع معياره بنى معمارية محكمة الإغلاق وقوامه مواد بناء قابلة للاحتراق، وتدهور في مستويات الصحة في بيئات حبيسة مضغوطة تتفاعل سلباً مع استخدامات الأدوات المنزلية مولّدة اللهب (Zhang & Smith, 2003).

وفي المنطقة العربية الشرق أوسطية والخليجية، لا يسلّط الضوء كثيراً في عصر التحولات المتسارعة على المخاطر الصحية داخل البيئات المغلقة. وفي هذا الاتجاه، تنتشر في المنطقة العربية عادة إحراق مطيّبات الروائح في البيئات الداخلية من المنازل، ويعدّ استخدام أنواع الدخون قابلة للاشتعال محفّزاً لتوالد الانبعاثات من صنيع الإنسان. لذا كان هذا البحث لدراسة مدى تأثير إحراق الدخون أو البخور العربي على جودة الهواء النقي داخل الأماكن المغلقة. وبيّنت لنا الاختبارات التي تضمّنها احتواء الدخون العربي على مجموعة من المعادن والمركّبات الكيميائية المصنّفة خطرة على صحة الإنسان والبيئة معاً، وهي أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، أكسيد النيتروجين والمكّونات العضوية المتطايرة من خلال إجراء اختبارات عملية على نوعين من الدخن هما المعمول والعود النقي، وفي هذا مؤشر خطر يجدر التوقف عنده.

وكان الاعتماد على طريقتين علميتين لتحليل المكوّنات الانبعائية هما مطياف الاشعة السينية ومقياس الوزن الحراري استخدم فيهما جهاز خاص للاستشعار الحراري، جهاز جراي وولف. وأظهرت النتائج أن الدخون أو البخور العربي لا تأثير له على مستويات إطلاق غاز الأوزون الأرضي وأول أكسيد النيتروجين، وعلى الرغم من أن كلا النوعين من البخور يحتويان على نسبة عالية من ثاني أكسيد الكربون، إلا أن المعمول كان به مستوى أعلى من ثاني أكسيد الكربون منه في العود النقي. وهذه نتيجة ممكنة لأن المعمول يحتوي على مواد كيميائية، بخلاف العود النقي. كما بينت نتائج الاختبارات وجود العديد من العناصر والمركّبات المعدنية الضارة بالصحة بما يفتح الباب على مصراعيه لتشجيع استخدام المبخرة الإلكترونية لضررها الأقل على البيئة. والملفت في البحث إطلاق الفحم عند إحراقه عدداً أكبر من المعادن الثقيلة في البيئة المغلقة توازياً مع دخانه المنبعث.

المراجع البحثية

Centers for Disease Control and Prevention. (2018, April 4). CDC. Centers for Disease Control and Prevention. Retrieved from <https://emergency.cdc.gov/agent/barium/casedef.asp>.

Department of Labor Logo United Statesdepartment of Labor. Cadmium - Health Effects | Occupational Safety and Health Administration. (n.d.). Retrieved from <https://www.osha.gov/cadmium/health-effects>.

Elsayed, Y., Dalibalta, S., Gomes, I., Fernandes, N., & Alqtaishat, F. (2016). Chemical composition and potential health risks of raw Arabian incense (Bakhour). Journal of Saudi Chemical Society, 20(4), 465-473. <https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S1319610314001598>

Fentress, E. (2020). Sacred transactions: Religion and markets in Roman urbanism. In Urban Space and Urban History in the Roman World (pp. 179-197). Routledge. https://www.academia.edu/download/66065622/Sacred_Transactions_2020.pdf

Garcia-Herrera, L. F., & Price, H. (2020, August 11). Thermogravimetric Analysis (TGA). Chemistry LibreTexts. Retrieved from [https://chem.libretexts.org/Courses/Franklin_and_Marshall_College/Introduction_to_Materials_Characterization_CHM_412_Collaborative_Text/Thermal_Analysis/Thermogravimetric_analysis_\(TGA\)](https://chem.libretexts.org/Courses/Franklin_and_Marshall_College/Introduction_to_Materials_Characterization_CHM_412_Collaborative_Text/Thermal_Analysis/Thermogravimetric_analysis_(TGA)).

Magic coal. Magic Coal. (n.d.). Retrieved from <http://www.magic-coal.com/>.

Rana, S. (2018). Incense sticks: a potential source of indoor air pollution. Int. J. Environ. Eng. Manage, 9, 1-6. https://www.ripublication.com/ijeem18/ijeemv9n1_01.pdf

Wirth, K. (2020, January 21).

X-Ray Fluorescence (XRF). Geochemical Instrumentation and Analysis. Retrieved from https://serc.carleton.edu/research_education/geochemsheets/techniques/XRF.html.

Yadav, V. K., Choudhary, N., Heena Khan, S., Khayal, A., Ravi, R. K., Kumar, P., ... & Gnanamoorthy, G. (2020). Incense and Incense Sticks: Types, Components, Origin and Their Religious Beliefs and Importance among Different Religions. J. Bio Innov, 9, 1420-1439. https://www.researchgate.net/profile/Dr-Pankaj-Kumar/publication/348367764_INCENSE_AND_INCENSE_STICKS_TYPES_COMPONENTS_ORIGIN_AND_THEIR_RELIGIOUS_BELIEFS_AND_IMPORTANCE_AMONG_DIFFERENT_RELIGIONS/links/5ffe7f8ba6fdccdb84d824e/INCENSE-AND-INCENSE-STICKS-TYPES-COMPONENTS-ORIGIN-AND-THEIR-RELIGIOUS-BELIEFS-AND-IMPORTANCE-AMONG-DIFFERENT-RELIGIONS.pdf

Zhang, J., & Smith, K. R. (2003, December 1). Indoor Air Pollution: A Global Health Concern. OUP Academic. Retrieved December 30, 2021, from <https://academic.oup.com/bmb/article/68/1/209/421251>

من استخدام مبخرتنا التقليدية والتي لن تقل منزلتها في تراثنا، والاستعاضة عنها بالمبخرة الإلكترونية للحد من انبعاثات الغازات والمعادن الضارة ومخلفاتها من أجل بيئة نظيفة وصحة سليمة.

اجتمعت الأسباب وضرر الدخون واحد، يداعب بإغواء عطره القوّاح سلامة صحتنا.. هي دعوة لضرورة اتخاذ حزمة تدابير وقائية تقينا شرّه المتطاير عبثاً والمختنق في جنبات بيوتنا المغلقة واستنباط الحلول الفردية في إيجاد بيارات غير مغلقة وآمنة تتدارك بها مخاطره دون أن نُحرم من طيب عطره، كذلك المبادرة إلى التقليل



اللؤلؤ المستزرع وتأثيره على اقتصاد إمارات الساحل المتصالح

خلود يوسف الحرمي



مقدمة

التراث البحري وذاكرة الغوص. زمن جميل سكن وما يزال وجدان أهل الخليج. عتق الماضي، تراث اليوم، وعين الغد.. رحلات مليئة بالأسرار والمشقات خرج فيها أهل البحر يتدبرون قوت عوائلهم، متجشمين الصعاب، فكان البحر صنعتهم المكتسبة ومورد رزقهم الأول.

عرفت الجزيرة العربية طفرة ازدهار عنوانها الغوص على اللؤلؤ الذي شكّل الشريان الاقتصادي الأول لإمارات الساحل المتصالح، حيث بلغ مجموع دخل الساحل الخليجي من صادرات اللؤلؤ نحو 75 % في عام 1906 (سويم العزي، 2015). وحتى بداية عصر النفط كانت تجارة اللؤلؤ عماد الاقتصاد في بلاد الجزيرة العربية ورافداً من أهم روافد الدخل لمشيخات الخليج (سويم العزي، 2015). وكانت مشيخة البحرين بيئة خصبة لتشكيل مغاصات اللؤلؤ الطبيعي، كما كانت للغوص مواسمه المزدهرة في الخليج العربي. وتأكيداً على أهمية لؤلؤ البحرين، يذكر (بوين) (Bowen, 1951) أن نحو 90 % من لؤلؤ الخليج كان مصدره البحرين، وباقي النسبة العشرية من إمارات الساحل المتصالح والصفاف الساحلية لمشيخة الكويت الغنية بالمحار، إلى أن بدأت اليابان بزراعة اللؤلؤ مع "ميكيموتو كويتشي"، ليبدأ معها التراجع الكبير لسوق اللؤلؤ الطبيعي في الخليج، خاصة في البحرين حيث كان لانتشار اللؤلؤ المستزرع تأثير في الصميم على مهنة الغوص فيها (Bowen, 1951).

نظرة تاريخية في تاريخ مهنة الغوص

منذ أمد بعيد شكّلت تجارة اللؤلؤ العصب الاقتصادي والهوية الثقافية للمجتمعات الخليجية. وقصص الغوص على اللؤلؤ محفوفة بالمغامرات والمخاطر في ذاكرة الأولين، ورحلات الهيرت الموسمية التي كانت تستغرق نحو أربعة شهور. وحرفة الغوص على اللؤلؤ حرفة قديمة في التاريخ، إذ كان الغوص نشاطاً ممارساً في الخليج العربي. وبحسب (كارتر)، عرفت منطقة الخليج تجارة اللؤلؤ في الألفية السابعة قبل الميلاد، تحديداً منذ العهد الحجري الحديث (Carter, 2009).

ففي بلاد الرافدين، اكتشف علماء الآثار نقشاً مسمارياً آشورياً يعود إلى الألفية الثانية قبل الميلاد في "أور الكلدانيين" أطلقوا عليه إسم "عيون سمك دلمون"، وما كانت هذه العيون سوى اللآلئ الهدية المقدّمة لملك بلاد الرافدين من مملكة دلمون

(وهي حضارة قامت في جزيرة البحرين وشرق الجزيرة العربية). وفي هذا شاهد تاريخي على قِدَم مهنة الغوص لأكثر من أربعة آلاف عام، وعلى جودة السلع التجارية القادمة من الخليج العربي. وكانت البحرين، "تايلوس" قديماً، مركز تجارة اللؤلؤ في المنطقة، وسُميت البحرين باسم تايلوس نسبةً إلى الحضارة التي استوطنت جزيرة المحرق، واشتهرت بوفرة اللؤلؤ فيها (Bowen, 1951).

ومن جهته، يشير (كارتر) إلى أن تاريخ صيد اللؤلؤ يعود إلى الحقبة الإسلامية، مستذكراً بعض الرّحالة العرب كالمسعودي والبرهوني والإدريسي (Carter, 2009). وكان الإدريسي أحد أشهر الرّحالة العرب المسلمين في القرن السادس الهجري وطاف بلداناً كثيرة في آسيا، إفريقيا وأوروبا. وفي كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" يصف الإدريسي مغاصات اللؤلؤ: (ومن بلاد مدينتي صور وقلهات، ويصاد بهاتين المدينتين اللؤلؤ قليلاً " (كتاب الإدريسي، القرن الثاني عشر، ص. 155). ويتابع الإدريسي يحدثنا عن (رأس المحجمة، وفيها مغايص اللؤلؤ.. ومن قلّهات على الساحل إلى مدينة صحار مائتا ميل وبقرّب منها وعلى الساحل قرية دما وهي قرية يكون في الشتاء عامرها قليلا ومعايشها كاسدة وتصرف أهلها قليل وأما في الصيف فإنها تكون كالمدينة العامرة لأن فيها مغاص اللؤلؤ الجيد جداً وهي مشهورة بجيد اللؤلؤ المستخرج بها" (الإدريسي، ص 157).

وكلام الإدريسي دليل على أن اللؤلؤ كان المنتج الأهم في العصر الإسلامي. ومن العصر الإسلامي إلى الحقبات التاريخية المتقدمة، إلى البحرين وجلفار (رأس الخيمة) اللتين كانتا المركزين الرئيسيين للغوص على اللؤلؤ وتجارته في الخليج (Carter, 2009). والدلائل التاريخية كثيرة على امتهان أهل الخليج للظواشة، فقد كانت نسبة كبيرة من الظواشين في الخليج يسافرون لتسويق لآلئهم في أسواق بومباي. وقد شكلت الظواشة جانباً هاماً من جوانب النشاط الاقتصادي، وكانت مصدر الرزق الأساسي لأبناء المنطقة في تلك الحقبة التاريخية.

تأثير اللؤلؤ المستزرع على العلاقات التجارية

أحدث ظهور اللؤلؤ المستزرع تبديلاً جذرياً في المسارات والعلاقات التجارية بين تجار الخليج وتجار الهند. وقد

كان الطّواش والدّلال (الشريك الرئيسي للظواش والوسيط مع تجار اللؤلؤ في الهند) ينسّقان العمل بينهما لبيع اللؤلؤ في أسواق بومباي. وكان أكثر من 500 طوّاشاً يسافرون إلى الهند لتسويق لآلئهم (AI-bedwawi, 2017). كما شكّنت لآلئ الخليج طريقها بسرعة إلى الأسواق الأوروبية، تحديداً باريس ولندن، وكانت للظواشين في الخليج مكاتبهم ومصانعهم مما فتح أبواب العاصمتين الأوروبيتين على مصراعيهما لتصدير اللؤلؤ. ولم يكن الغوص على اللؤلؤ مصدر رزق وفير فحسب، بل فتح باب التجارة مع أوروبا، فكان اللؤلؤ الحلقة التي ربطت الخليج بأوروبا عبر بومباي. ومع بدايات الألفية الثانية، أصبح الخليج إلى حد بعيد أكبر مصدر للؤلؤ للأسواق العالمية (Carter, 2019)، حيث فاقت صادرات البحرين من اللؤلؤ قيمة 30,500,000 روبية في عام 1912) وكان لموقع الخليج المتميز الدور الرئيس في تعزيز الإقتصاد وتطوير العلاقات مع البلدان الأخرى. وكانت منطقة "لنجة" الواقعة على الساحل الشرقي للخليج مُصدراً هاماً للؤلؤ من سواحل الإمارات إلى الهند البريطانية عبر مينائها (Aqil, 2018). وشهدت بدايات القرن العشرين أوج العلاقات التجارية بين أهل الخليج والتجار في الهند حتى ثلاثينات القرن الماضي مع انتشار اللؤلؤ المستزرع، ليستطر بانتشاره نهاية العصر الذهبي للؤلؤ الخليج الطبيعي. ولم يستطع الظواشون، ومنهم "سلطان اللؤلؤ" (محمد علي زينل)، كما كان لقبه، من تصريف لؤلؤه في العاصمة الفرنسية بسبب سطوة اللؤلؤ المستزرع (Albedwawi, 2017).

تأثير اللؤلؤ المستزرع

كان لتطوير صناعة اللؤلؤ المستزرع في اليابان أثر بالغ على سوق الصادرات الخليجية من اللؤلؤ الطبيعي، لتُكتب بذلك بداية النهاية لمهنة الغوص ولزمن غاصته. ووفقاً لـ (نجلة للعزي، 1981)، كان الغوص على اللؤلؤ من أقدم المهن التي عرفها الخليج العربي، وهو يرقى إلى عهد الملك الاشوري "سرجون الأكدي" في الألفية الثالثة قبل الميلاد. وعلى الرغم من أن صيد اللؤلؤ كان تجارة مربحة، لكن الخطر الداهم كان بالمرصاد لأولئك الرجال الأشداء أصحاب العزائم من غدر مياه البحر؛ فقد كانت المغاصات مصدر رزقهم وقوت عوائلهم الوحيد. وتؤكد (نجلة للعزي، 1981) في هذا السياق أن عدد الغاصة بلغ نسبة 88% في عام 1907. ووفقاً لما ذكره (السامرائي، 2009)، فقد كانت تجارة الغوص العامود الفقري لاقتصاد البحرين، حيث انخرط فيه العديدون. وكانت للغوص طقوسه؛ فقبل إبحار المراكب، كان صيادو اللؤلؤ يقومون بقرع الطبول والغناء (الركابي، 2005). وليس الغوص بالمهنة اليسيرة،

إذ يتطلب احترافه أناة وصبراً طويلاً، وكان على (الغيص) أن يتعلّم فن الغوص والذي يتطلب من أن يوازن ثقل أذنيه ويكتم نفسه حتى يتمكن من الصمود تحت الماء لأطول فترة ممكنة (السامرائي، 2009). وكان الغاصة ينزلون ما يقارب 12 قامّة في عمق البحر (Bowen, 1951)، لذا كان الغوص من أصعب المهن وأكثرها مجازفة، مع خطر تعرّض (الغيص) لهجمات أسماك القرش القاتل (الجرجور) في الساحل المتصالح (Bowen, 1951). ومع ذلك، فإن المخاطر التي شكّلتها أسماك القرش واللخمة وغيرها من الأسماك الفتاكة كانت طفيفة مقارنة بانحناءات الظهر التي كانت تصيبهم، والتي كانت تسبّب لهم آلاماً حادة (Bowen, 1951).

ومع انتهاء موسم الغوص، يتفّرها وخطرها، كانت عودة المراكب إلى الساحل لتبدأ بعودتها تجارة اللؤلؤ من خلال الظواش الذي كان ينسّق مع الدّلال عمليات بيع اللؤلؤ في الأسواق الهندية (العزي، 1981).

كان تطوير صناعة اللؤلؤ المصنّع في اليابان ضربة شديدة لصناعة الغوص في الخليج وازدهار تجارته، والذي لم يختلف عن اللؤلؤ الطبيعي في الشكل أو اللون، إلى حد يكاد يصعب معه التمييز بينهما (نجلة للعزي، 1981). فلقد كان المزامح الشرس للؤلؤ الطبيعي الذي انخفضت قيمته وتراجع الطلب عليه، لتدخل معه مهنة الغوص وحكايات البحر في دائرة النسيان (نجلة للعزي، 1981)

اضمحلت رحلات الغوص أمام سطوة هذا الضيف الدخيل، فلا غوص ولا طواشة! وكان على الظواشين والغاصة البحث عن باب رزق آخر. ويمكن القول إن مهنة الغوص توقفت تماماً في بدايات القرن العشرين، وكان على السكان التحول إلى مهن أخرى كتجارة الأسماك مع البلدان المجاورة (الحميري، 2011).

ورغم النكسة الاقتصادية التي أحدثها اجتياح اللؤلؤ المستزرع الأسواق الخليجية، إلا أن نعمة اكتشاف الذهب الأسود كانت نقطة تحول كبيرة في حياة أهل البحر في فتحها أبواب مهن جديدة في المنطقة، ليكون اكتشافه بداية النقلة الحضارية والاقتصادية والإجتماعية لمشيخات الخليج (يونان، 2009). وكان لنكسة اللؤلؤ الطبيعي تأثير بالغ على "ساحل اللؤلؤ" وهو الإسم الذي اشتهرت به البحرين لأهميتها على خارطة الغوص الخليجية (الركابي، 2005).

الغوص على اللؤلؤ وعين على المستقبل

ذكرنا أنه كان لصعود اللؤلؤ المستزرع واكتشاف النفط الأثرين الكبيرين في تدهور اللؤلؤ الطبيعي وخبو بريقه في الأسواق الخليجية. وبين نقمة اللؤلؤ وكساده في ثلاثينات القرن الماضي وتدفق النفط، بقي الغوص بطقوسه وحكاياته وجهاً تراثياً بحرياً لا يغادر البال.. وحتى لا يغيب هذا التراث ويندرج جزراً ومَدّاً، تُبذل كل الجهود لصونه وجعله من لبنات حضارة مشتركة في منطقة الخليج، من أبو ظبي و"رحلات سردال للغوص على اللؤلؤ" في جزيرة ياس (إمارات اليوم، 2021)، إلى "مهرجان كتارا للمحامل التقليدية" في الكويت والفعاليات البحرية التي تنظمها "جمعية الإبحار البحرية الكويتية"، وغيرها الكثير من الفعاليات على مستوى دول الخليج التي يجمعها حب التراث البحري لتعيد إلى الأذهان عبق الماضي المليء بالمخاطر التي كانت تواجه الأجداد خلال رحلات بحثهم عن اللؤلؤ والأسفار الطويلة في سبيل الرزق، ليبقى التراث البحري صفحة عائمة في صفحات التراث الخليجي والذي يتعين إحياءه من خلال تنظيم أنشطة رياضية وفعاليات ثقافية تحاكي غوص الزمن الأول، ليسكن الغوص في الذاكرة الجماعية، رمزاً حضارياً نعتز بتقديمه للعالم.

الخاتمة

"نפט الزمن الجميل" بنسقه المجتمعي وتأزر أبنائه بحراً وبراً، قوت الآباء الأولين، وكدهم اليومي، حيث شكّلت تجارة اللؤلؤ أهم الصادرات الخليجية، مع تفرد البحرين بطبيعة مغاصاتها بالوفر اللؤلؤي الأهم (90% من صادرات اللؤلؤ الطبيعي). وتاريخياً، يرقى الغوص على اللؤلؤ في منطقة الخليج إلى الألفية السابعة قبل الميلاد من "عيون سمك دلمون"، إلى مدونات الرحالة العرب، ومنهم الإدريسي. وكانت البحرين ورأس الخيمة المصدرين الرئيسيين للؤلؤ.

وشكّل نجاح اليابان في استزراع اللؤلؤ ضربة قاسية للعصر الذهبي للؤلؤ الخليجي مع نهايات القرن التاسع عشر والعقد الثاني من القرن العشرين، حيث شهدت المرحلة تراجع العلاقات الاقتصادية بين ساحل الخليج وبومباي وأوروبا.

انتهت رحلات الغوص ولم تنته ذكرياته، إذ تحرص الأندية الثقافية والرياضية على الاحتفاء به وتعريف الاجيال الناشئة على المهنة التي شكّلت يوماً شريان اقتصاد بلاد الساحل المتصالح بخيراته الثمينة.

المراجع البحثية

- About Us | Pearls. Retrieved 11 October 2021, from <https://suwaidipearls.ae/about-us/>
- Bishara, Fahad Ahmad, Haykel, Bernard, Hertog, Steffen, Holes, Clive and Onley, James (2016) The economic transformation of the Gulf. In: Peterson, J. E., (ed.) The Emergence of the Gulf States: Studies in Modern History. Bloomsbury Publishing, London, UK. ISBN 9781472587626
- Bowen, R. L. (1951). The Pearl Fisheries of the Persian Gulf. Middle East Journal, 5(2), 161-180. <http://www.jstor.org/stable/4322269>
- Carter, R. (2005). The History and Prehistory of Pearling in the Persian Gulf, Journal of the Economic and Social History of the Orient, 48(2), 139-209. doi: <https://doi.org/10.1163/1568520054127149>
- George, A. 1999. The Epic of Gilgamesh. The Babylonian Epic Poem and Other Texts in Akkadian and Sumerian. Harmondsworth, UK: Allen Lane The Penguin Press.
- Kuwait revives pre-oil pearling. (2019). Retrieved 11 October 2021, from <https://filipinotimes.net/global-news/2019/08/04/kuwait-revives-pre-oil-pearling/>
- Lorimer, J. G. (1908). Gazetteer of the Persian Gulf, <Omān and Central Arabia.
- Onley, J. (2005). Britain's informal empire in the Gulf. Journal of Social Affairs, 22(87), 29-45.
- Pearls; articles of natural or cultured pearls exports by country [2018. (2018). Retrieved 11 October 2021, from <https://wits.worldbank.org/trade/comtrade/en/country/ALL/year/2018/tradeflow/Exports/partner/WLD/product/711610%20>
- Pliny, ., & Rackham, H. (1938). Natural history. Cambridge, Mass: Harvard University Press.
- 16 interesting facts about pearls. TPS Blog. (2020, April 2). Retrieved October 11, 2021, from <https://www.thepearlsource.com/blog/pearl-facts-beautiful-organic-essence-pearls/>.



ميكيموتو كوينشي- مخترع اللؤلؤ المستزرع

الأستاذ سيّد الشناوي

منذ طفولتي، انفتحت عيني على واحد من أجمل الفنون الإسلامية، إن لم يكن أجملها على الإطلاق ، ألا وهو الخط العربي. ومن حسن الحظ ونعمة القدر أن نشأت في أحد أحياء القاهرة القديمة وهو حي "الغورية" الذي يمكن القول إنه كان متحفًا مفتوحًا لأجمل الفنون الإسلامية سواء في العمارة ، حيث المساجد القديمة ومآذنها الرائعة ، والكتابات التي تزين جدرانها بأجمل أنواع الخط العربي؛ أو في المحلات والورش التي تنافس أصحابها على كتابة وإجهات محلاتهم بخطوط عربية مختلفة بمهارة مدهشة، بغض النظر عن درجة التعليم التي وصلوا إليها ، لدرجة أن بعضهم كان يناقش الخطاط حول نوع الخط الذي يريده في الكتابة على الرغم من أنه لم يتلق أي تعليم يذكر.

ومن المثير للدهشة ، في أنواع الخط العربي ، أنك يمكن أن تجد فيها كل ما يناسب المواقف أو الظروف التي يمر بها الإنسان. فبعضها يصلح للتأمل والتفكير مثل خط الثلث. وبعضها مناسب للحظات الفرح والبهجة التي تمر في حياتنا مثل الخط الديواني، وبعضها يعبر عن الوضوح والتحديد مثل خط النسخ، وبعضها يتناسب مع السرعة وإيقاع الحياة اليومية مثل خط الرقعة، وبعضها يعبر عن الهندسة والخطوط المستقيمة والتركيبات مثل الخط الكوفي. وهكذا كان للخط العربي دور أساسي ومؤثر في مراحل حياتي المختلفة، بحيث جعلني أزداد به تمسكًا وأشد به إعجابًا.

Sayed ElShenawi

Since my childhood, my eyes have been opened to one of the most beautiful, if not the most mesmerizing Islamic arts, which is Arabic calligraphy. I feel much fortunate as I grew up in one of the neighborhoods of old Cairo, the "Al-Ghuriya" neighborhood, which was an open museum for the most beautiful Islamic arts, whether in architecture, with its ancient mosques and their magnificent minarets, and the most beautiful Arabic calligraphy writings that adorn their walls; or whether in the shops whose owners competed to write their facades in various Arabic scripts with an astonishing skill, regardless of the degree of education they had reached, to the extent that some of them were discussing with the calligrapher the type of font they would write.

Surprisingly, in each type of Arabic calligraphy, you find what suits the situation or circumstances that a person is going through. Some types are suitable for contemplation and reflection, such as the Thuluth type line; some suitable to reflect the moments of joy in our lives, such as the Diwani type line, and some express clarity and definition, such as the Naskh type line, while some others suit the fast-moving daily lifestyle, such as the Ruqa type line, and some reflect geometry and straight lines, such as Kufic type line. Thus, Arabic calligraphy played an essential and influential role in the various stages of my life, and intensified my admiration for it.



مَا بَفَّحَ اللَّهُ لَنَا مِنْ حَسَنَةٍ

فَلَا مُمْسِكُ لَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ
عَلَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۖ

مَدَقُّ الْعَلِيمِ

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً

وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ

فِي الْأَرْضِ

وَنُورٍ عَلَى
كُلِّ ذِي
عِلْمٍ

إِذَا قَدِّمْتَ لِأَحَدٍ جَمِيعًا
فَلَا تَنْسَهِهُ
وَإِنْ قَدِّمَ أَحَدٌ إِلَيْكَ جَمِيعًا
فَلَا تَنْسَهِهُ

إِنَّ الْغَايَةَ
مَنْ اسْتَغْنَىٰ عَنْ
النَّاسِ

إِنَّ الْغَايَةَ
مَنْ اسْتَغْنَىٰ
عَنِ النَّاسِ

إِنَّ الْغَايَةَ
مَنْ اسْتَغْنَىٰ
عَنِ النَّاسِ

وَمَا يَكْمُرُ مِنْ نَعْمٍ فَمِنْ أَمَدٍ

مَا عَابَ امْرُؤٌ قَطَّ
إِلَّا ابْتَلَى

مَا عَابَ امْرُؤٌ قَطَّ
إِلَّا ابْتَلَى

وَمَا أُنْسَى مِنْ الْعِلْمِ
إِلَّا فُتِيَ

خَالِدٍ النَّاسِ خَلِيسٍ
وَوَدَّ النَّاسِ خَلِيسٍ

وَعَلِّمُوا الْعَرَبِيَّةَ

وَعَلِّمُوهَا
النَّاسَ

وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ